روايات مصرية للجيب

رجل المستحيل

البارون

١ ـ نـــداء ..

اعتدل المناخ ، على نحو ما ، فى ذلك الصباح ، بعد الموجة الحارة ، التى تعرَّضت لها (مصر) ، مع بداية الصيف ، وأوقف (قدرى) جهاز تكييف الهواء ، لأوَّل مرة فى مكتبه ، وهو يفتح النافذة الكبيرة ، المطلَّة على ساحة مبنى المخابرات العامة ، ويستنشق الهواء النقىَّ فى عمق ، ثم يربِّت على صدره ، قائلاً :

ـ صباح جميل .. كم أتمنى لو أن الصيف كله جاء بهذا المناخ اللطيف .

هبَّت نسائم الهواء الرقيقة على وجهه ، فاتسعت ابتسامته ، وأغلق عينيه ، متمتمًا فى هيام شديد :

ـ يا له من مناخ فاتح للشهية !.. كم أشتهى الآن شطيرة من اللحم المفرى ، وأخرى من الـ ...

بتر عبارته بغتة ، وعقد حاجبيه فى شدة ، وهو يقول :

ـ عجبًا !!.. لم أتصوَّر أبدًا أن التأثيرات النفسية يمكن أن تكون بهذ القوة !.. أكاد أشمَ بالفعل رائحة اللحم المشوى ، و ...

قاطعته ضحكة رقيقة عذبة ، فالتفت إلى حجرته فى سرعة ، ورأى (منى) أمامه ، تحمل لفافة صغيرة ، وهى تقول :

ـ قلبى أخبرنى أنك تشتهى هذا .

تهلَّلت أساريره ، وهو يهتف :

ـ واعزيزتى (منى) .. كم أحب قلبك الرقيق هذا .. إنه يقرأ أفكارى دائمًا .

قالها وانقضَّ على اللفافة ، وفتحها فى لهفة ، والتهم نصف شطيرة دفعة واحدة ، قبل أن يستطرد فى ارتياح سعيد :

ـ ثم إنه ملك لأعز أصدقائى .

رفعت حاجبيها فى دهشة ، وهى تقول :

ـ ما هذا ؟

غمز بعينه ، وهو يقول فى خبث :

ـ قلبك .

تخضَّب وجهها بحمرة الخجل ، وجذبت مقعدًا لتجلس فوقه ، وتنحنحت فى حرج ، ثم قالت محاولةً تغيير دفة الحديث :

ـ ألم تر (أدهم) ، فى الآونة الأخيرة ؟

هزَّ رأسه نفيًا، وقال :

ـ إنه لم يعد بعد من رحلته الأخيرة .

هزَّت رأسها متفهِّمة ، وقالت :

ـ كم يسعدنى أنه عاد إلى صفوفنا .

انتهى (قدرى) من التهام ما تبقَّى من الشطيرة ، قبل أن يقول :

ـ كان هذا سيحدث ، إن عاجلاً أو آجلاً ، فـ(أدهم) ينتمى إلينا ، مثلما ينتمى السمك إلى الماء ، وليس من المريح أن يظلَّ خارج الصفوف .

وافقته بإيماءة من رأسها ، وهى تقول :

ـ صدقت .

ثم أزاحت خصلة من شعرها الجميل ، تهدَّلت على جبينها ، بحركة ناعمة رقيقة من رأسها ، قبل أن تسأله :

ـ أمازلت تواصل قراءة ملفاته القديمة ؟

ضحك قائلاً :

ـ إننى أجد فى هذا متعة .

هزّت كتفيها ، قائلة :

ـ أنا أيضًا كنت أشاركك رأيك هذا .

هتف فى دهشة :

ـ كنت ؟!.. لماذا تستخدمين الفعل الماضى ؟.. ماذا استجدّ فى مشاعرك ؟

ابتسمت قائلة :

ـ مشاعرى لم تتغيّر ، ولكننى انتهيت من قراءة كل الملفات .

صمت (قدرى) لحظات ، وهو يتطلّع إليها ، ثم مال نحوها ، قائلاً :

ـ أتعلمين ؟!.. الشطيرة التى أهديتنى إياها لذيذة الطعم ، حتى أنك تستحقين مكافأة سخية .

ضحكت وهى تسأله :

ـ وما نوع المكافأة ؟

تراجع وهو يلوّح بسبّابته ، قائلاً :

ـ مغامرة جديدة من مغامرات (أدهم صبرى) .

ثم غمز بعينه ، قبل أن يستطرد :

ـ مغامرة لم يرد ذكرها فى أى ملف من ملفاته الرسمية .

اُعتدلت فى اهتمام ، هاتفة :

ـ حقًا ؟!

ثم لم يلبث حاجباها أن التقيا ، وهى تستطرد :

ـ ولكن كيف لم يرد ذكرها فى الملفات الرسمية ؟

عاد يميل نحوها ، وهو يجيب فى صوت أقرب إلى الهمس :

ـ لأنها لم تحدث لحساب جهاز المخابرات العامة ، ولا لحساب أية جهة رسمية .

سألته فى شغف :

ـ أتقصد أنها قد تمّت بتكليف غير رسمى ؟!

هزّ رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لا رسمى ولا غير رسمى .. إنها لم تتم بأى تكليف ، بل كانت مهمة خاصة .. خاصة بكل ما تحمله الكلمة من معان .

قالت (منى) فى دهشة :

ـ عجبًا !.. لم يخبرنى (أدهم) أبدًا بهذا !

لوّح (قدرى) بكفه ، وهو يقول :

ـ ولم يكن ليخبرنى أيضًا ، لولا أننى شاركت فى جزء من تلك المهمة ، من حسن حظى .

بدا الضيق لحظة على وجه (منى) ، وكأنه يؤلمها أن يعلم (قدرى) عن (أدهم) ما لا تعلمه هى ، ثم لم تلبث أن كتمت هذا فى أعماقها ، وقالت :

ـ وأين كانت هذه المهمة ؟.. فى الولايات المتحدة الأمريكية ، أم الاتحاد السوفيتى ، أم (أوروبا) ؟..

ابتسم (قدرى) وهو يقول :
ـ بل كانت هنا .. فى (مصر) .
تفجَّرت الدهشة فى أعماقها ، وهتفت :
ـ هنا فى (مصر) ؟!
ثم اعتدلت ، مستطردة فى انفعال :
ـ اسمع يا (قدرى) .. لقد نجحت فى إثارة فضولى ولهفتى إلى أقصى حد .. أنا أعترف بهذا ، والآن عليك أن تخمد كل ما أشعلته فى أعماقى .. هيا .. ستروى لى القصة كلها ، كما سمعتها من (أدهم) .
رفع سبَّابته ، وهو يقول :
ـ بل سأفعل ما هو أفضل .
ومال نحوها للمرة الثالثة ، مردفًا :
ـ سأرويها لك كما جمعتها من كل مصادرها .
هتفت :
ـ عظيم .. هيا ابدأ .. كلى آذان مصغية .
ألقى نظرة على ساعته ، وقال :
ـ ولدينا ما يكفى من الوقت .
وفرك كفيه ، واسترخى فى مقعده ، و ...
وبدأ يروى ..

* * *

استيقظ (أدهم) على ذلك الرنين المتصل ، الذى صكَّ أذنيه ، قبيل لحظات من أذان الفجر ، فهبَّ جالسًا على فراشه ، وهو يتطلَّع إلى المنبه المجاور لفراشه ، مغمغمًا فى دهشة :
ـ عجبًا !.. لست أذكر أننى أعددتك للرنين أمس .
انتبه فجأة إلى أن الرنين لا يأتى من المنبه ، وإنما جرس الباب ، فانعقد حاجباه فى شدة ، والتقط مسدسه بسرعة من تحت وسادته ، وهو يسرع إلى الباب مغمغمًا :
ـ تُرى من هذا الطارق المتلهِّف ، فى مثل هذه الساعة ؟
أخفى مسدسه خلف ظهره ، وهو يفتح باب الشقة ، وتطلَّع فى حذر إلى ضابطى شرطة ، يقفان أمام بابه ، وقد بدا عليهما التوتر والقلق ، وقال أحدهما فى ارتباك :
ـ معذرة لقدومنا فى هذه الساعة ، ولكن الأمر عاجل بالفعل .
وسأله الثانى :
ـ أأنت الأستاذ (أدهم صبرى) ؟
أجابه (أدهم) فى اهتمام :
ـ نعم .. أنا هو .. ما الذى يمكننى تقديمه إليكما ؟
تبادلا نظرة متوترة ، قبل أن يقول أحدهما :
ـ هل يمكنك اصطحابنا الآن وفورًا ، إلى مستشفى الشرطة ؟.. إنها قريبة من هنا .. فى حى (العجوزة) ؟
حرَّك (أدهم) يده فى هدوء ، وألقى المسدس فى جيب معطفه المنزلى خفية ، وهو يسألهما :
ـ ولماذا .

عاد يتبادلان تلك النظرة المتوترة ، ثم خفض أحدهما عينيه فى ألم ، فى حين قال الثانى :

ـ إنه ابن عمك ، النقيب (محمود صبرى) .. إنه فى حالة سيئة للغاية ، وهو يطلب رؤيتك على الفور ، ويصرّ على ...

قال (أدهم) بسرعة :

ـ أمهلانى خمس دقائق فحسب .

والعجيب أنه لم يستغرق سوى أربع دقائق وست عشرة ثانية بالتحديد ، كان بعدها يرتدى حلته ورباط عنقه ، ويحمل مسدسه فى جراب خاص تحت إبطه ، ويجلس فى سيارة الشرطة ، التى انطلقت على الفور إلى المستشفى ..

وهناك ، أدرك (أدهم) أن حالة ابن عمه سيئة بحق ..

كان يرقد فى حجرة العناية المركّزة ، ويعانى هبوطًا شديدًا فى دورته الدموية ، وقال طبيبه المعالج فى أسى :

ـ مسكين .. لقد عذّبوه فى وحشية ، ثم حقنوه بجرعة كبيرة من (الهيروين) ، وألقوه من سيارة مسرعة ، وتصوّروا أنه لقى مصرعه .. والحقيقة إنها لمعجزة أن يبقى على قيد الحياة ، بعد كل هذا ، ولكن أصارحك القول .. لست أتوقّع له تقدمًا ، فحالته سيئة للغاية .

سأله (أدهم) :

ـ ومن هؤلاء ، الذين فعلوا به كل هذا ؟!

هزّ الطبيب رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لست أدرى .. زملاؤه يقولون إنه كان فى مهمة سرية ، وأنت تعرف هذه المهمّات .

أومأ (أدهم) برأسه متفهمًا ، وقال :

ـ وهل يمكننى رؤيته ؟

تطلّع إليه الطبيب بنظرة حزينة ، وهو يقول :

ـ إنه يطلب هذا بإلحاح .. ثم إنه من غير المجدى أن ...

ولم يتمّ عبارته ..

ولكن (أدهم) فهم ..

وعندما دخل إلى حجرة العناية المركّزة ، فهم أكثر ..

كان (محمود) شاحب الوجه بشدة ، تحيط برأسه ضمادة كبيرة ، ظهرت فى مقدّمتها بقعة واضحة من الدم ، وكانت أصابعه كلها محاطة بضمادات كثيفة ، وهناك عدد من الأجهزة والأنابيب والخراطيم الرفيعة تتصل بجسده النحيل ..

وشعر (أدهم) فى أعماقه بالغضب ، وهو يتطلّع إلى ابن عمه ، الذى كان دائمًا أقرب أقربائه إليه ، وهمس فى أسى :

ـ من فعل بك هذا يا صديقى ؟

ويبدو أن (محمود) قد التقط الصوت ، على الرغم من خفوته ، أو أن قلبه أنبأه بوجود (أدهم) على مقربة منه ، ففتح عينيه فى ضعف وشحوب ، وتمتم :

ـ (أدهم) .. أهو أنت ؟

انحنى (أدهم) نحوه ، وتحسّس جبهته فى حنان ، وهو يقول :
- نعم .. أنا هو يا صديقى العزيز .. أنا إلى جوارك ، ولن أتركك قط .

مد (محمود) أصابعه المرتعدة ، وأمسك يد (أدهم) ، وهو يقول فى صوت شاحب :
- (أدهم) .. أنت الأمل الوحيد يا (أدهم) .

سأله (أدهم) فى حيرة :
- الأمل فى ماذا يا (محمود) ؟

ارتجفت شفتا (محمود) طويلاً ، قبل أن يجيب :
- فى القضاء عليه .. على (البارون) .

انعقد حاجبا (أدهم) فى شدة ، وهو يقول :
- (البارون) ؟!.. ومن هو (البارون) هذا ؟

ارتجف جسد (محمود) كله ، وتصبّب على وجهه عرق غزير ، وهو يقول بصوت مرتعش ، وعيناه تجحظان بشدة :
- عدنى أنك ستبذل قصارى جهدك لتخليص (مصر) منه يا (أدهم) .. عدنى بهذا .

قال (أدهم) ، والحيرة فى أعماقه تتضاعف :
- أعدك يا (محمود) ، ولكننى أحتاج إلى مزيد من المعلومات .

تهالك (محمود)على فراشه ، وقال :
- ستحصل عليها .. أعلم أنك ستفعل .. أنا أعرف ما هو عملك الحقيقى يا (أدهم) .. وأعرف قدراتك المدهشة .. إننى أعتبرك مثلى

الأعلى منذ صباى .. وصدقنى يا (أدهم) .. أنت وحدك يمكنك إنجاز هذا العمل .. صدقنى يا ...

شهق فجأة ، وجحظت عيناه ، وتصلّب جسده كله ، فهتف (أدهم) :
- الطبيب .. أين الطبيب ؟

اندفع ثلاثة من الأطباء ، مع طاقم من الممرضات إلى الحجرة ، والتفوا حول فراش (محمود) ، وراحوا يبذلون قصارى جهدهم لإسعافه ، فى حين تراجع (أدهم) ، ليفسح لهم الطريق ، ووقف يراقب رسّام القلب الكهربى ، وقد انعقد حاجباه فى شدة ..

وراح رسّام القلب يعدو فى البداية كالمجنون ، وهو يصدر نبضات سريعة متتالية ، ثم انخفضت النبضات فجأة ، ولم تلبث أن تحوّلت إلى أزيز متصل ..

وحاول الأطباء مرة ثانية ..

وثالثة ..

ثم توقفوا فى أسى ، واليأس يحفر كلماته على وجوههم فى وضوح ..

وأدرك (أدهم) ما يعنيه هذا ..

وتضاعف الغضب فى أعماقه ..

تضاعف حتى صار بركانًا ثائرًا ، يقذف الحمم فى كل خلية من خلايا جسده ، ويشعل النيران فى كل خلجة من خلجاته ..

وفى موقعه ، رأى زملاء (محمود) يبكون ، ورأى عمه وزوجته ينهاران ، بعد أن فقدا ابنهما الوحيد ..

أما هو ، فلم يذرف دمعة واحدة ..

لقد اكتفى بالدموع الغزيرة ، التى انهمرت من قلبه ، وأغرقت كيانه كله ..

وعندما ابتعد الأطباء ، تقدّم هو من جسمان (محمود) ، وظلّ صامتًا لحظة ، ثم تجمّع كل الحزن والغضب والأسى والمرارة فى أعماقه ، فى كلمة واحدة ، انطلقت من بين شفتيه كقنبلة مكتومة ، تتأهب للانفجار .

أعدك .. أعدك يا صديقى .

وبعدها ران على الحجرة صمت رهيب .

★ ★ ★

٢ ـ البـدايـة ..

« .. البـارون ؟! .. مـن أخبـرك بهـذا الأمـر ؟! .. »

هتف ضابط الشرطة ، زميل (محمود) ، بالعبارة فى دهشة واستنكار ، ولكن (أدهم) استقبل هتافه هذا بهدوء أقرب إلى البرود ، وهو يجيب :

ـ (محمود) ـ يرحمه الله ـ هو الذى أخبرنى ، منذ نصف الساعة فقط ، قبيلَ موته ، وأنا أحتاج للمزيد من المعلومات عن هذا البارون .

هتف الضابط :

ـ مستحيل !.. ما تطلبه مستحيل تمامًا !.. لا أحد فى (مصر) كلها ، باستثناء كبار تجار المخدرات ، يعرف اسم (البارون) هذا .. إنها معلومات بالغة السرية ، وليس من حق المدنيين معرفتها .

انعقد حاجبا (أدهم) فى صرامة ، وهو يقول :

ـ اسمع يا رجل .. ربما تكون هذه المعلومات سرية ، ولكننى سأحصل عليها .. سواء منك ، أو من غيرك ، أو حتى بوسيلة غير قانونية ، لو اقتضى الأمر .. لقد وعدت (محمود) بالسعى خلف هذا الملقّب بالبارون ، ولن أتراجع عن وعدى هذا ، أو أحنث به ، مهما كان الثمن .

تطلّع إليه ضابط الشرطة لحظة فى صمت متوتر ، ثم لم يلبث أن تنهّد فى توتر ، وهزّ رأسه يمنة ويسارًا ، وهو يقول :

ـ كان (محمود) ـ رحمه الله ـ دائم التحُدث عنك ، فى زهو وانبهار ، حتى أننا كنا نشتاق جميعًا لرؤيتك .. وكلما سألناه عن مهنتك ، كانت ترتسم على شفتيه ابتسامة غامضة ، وهو يقول : إنك مجرُد رجل أعمال .

وتأمُل (أدهم) لحظة ، قبل أن يضيف :

ـ ولم أصدّقه أبدًا .

لم يعلّق (أدهم) بحرف واحد ، ولكن الضابط تابع :

ـ وعندما عثرنا عليه ، يلفظ أنفاسه الأخيرة ، وقبل حتى أن ننقله إلى هنا ، كان يردُد مطلبًا واحدًا فى إلحاح .. أن يراك .. وأنا واثق من أنه لم يطلب هذا بدافع عاطفى ، وإنما بدافع عملى بحت .. إنه يشعر أن معرفتك ستفيدنا كثيرًا ..

وتنهُد مرة ثانية ، قبل أن يستطرد :

ـ ولقد عوُدنا (محمود) ـ رحمه الله ـ على أنه لا يتخذ قرارته بشكل عاطفى أو أهوج قط .. ولا يخطئ الحكم على الآخرين .

وتطلّع إلى عينى (أدهم) مباشرة ، مردفًا :

ـ لهذا سأخبرك كل ما تريده ، حتى ولو كان هذا مخالفًا للقانون .

بدا الاهتمام على وجه (أدهم) ، واتخذ مقعدًا ، وهو يقول :

ـ حسن .. كلى آذان صاغية .

جلس رجل الشرطة بدوره ، والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول :

ـ لا أحد فى الواقع يعرف من هو (البارون) .. إنه مجرُد شخص مجهول ، يعتبره تجار المخدرات أكبر مموّل لصفقاتهم فى المنطقة

كلها .. وهو حتمًا أحد كبار الأثرياء ، أو رجال الأعمال ، ولكنه لا يظهر عبر تلك الصفقات المشبوهة قط .. إنه يكتفى بتمويلها ، عن طريق رجل يُدعى (حسين شدَّاد) ، وهو آخر من توصلنا إليه ، فى حلقة التعامل .. ومن المرجُح أنه يتعامل مع (البارون) مباشرة .. ولكن متى ؟.. وأين ؟.. وكيف ؟.. لا أحد يعلم ، على الرغم من إحاطتنا له بسوار من المراقبة :

سأله (أدهم) :

ـ ومن قتل (محمود) ؟

أجابه ضابط الشرطة على الفور :

ـ رجال (حسين شدَّاد) .. لقد تنكُر (محمود) ـ رحمه الله ـ فى شخصية تاجر مخدرات شاب ، يحاول التعاقد معهم على صفقة جديدة ، وكنا نراقبه ، وهو يتصل بهم ، ويبدأ تعاملاته معهم .. ولكنه اختفى فجأة ، ولم نعثر له على أثر ، على الرغم من اقتحامنا فيلا (حسين شدَّاد) ، وتفتيشنا لكل ركن فيها .. لقد دخل (محمود) الفيلا ، ولم يخرج منها قط ، حتى عثرنا عليه فى النزع الأخير .

انعقد حاجبا (أدهم) ، وهو يغمغم :

ـ يا للأوغاد !.

ثم اعتدل فى مجلسه ، واستطرد :

ـ إذن فـ (البارون) هو الرجل الخفى ، وراء كل هذه الشبكة الإجرامية ، التى اتخذت من تلك السموم تجارة لها ، وأصابعه هى التى تحرُك كل شىء ، من خلف ستار داكن سميك ، تستحيل رؤية ما خلفه .

أومأ ضابط الشرطة برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ أرى أنك قد فهمت الموقف تقريبًا .

نهض (أدهم) ، قائلاً :

ـ ولكننى لم أحصل على المعلومات الكافية بعد .

هتف ضابط الشرطة فى دهشة :

ـ وما الذى تريد معرفته ، بعد كل هذا ؟

أجابه (أدهم) :

ـ العناوين ، وأرقام الهاتف ، وأسماء العملاء ، ورجال العصابة .. كل شىء يمكن أن يفيدنى يا رجل .

قال ضابط الشرطة فى توتر :

ـ سأعمل على أن تحصل على كل هذا ، وسنحاول التنسيق بينك وبيننا ، و ...

قاطعه (أدهم) فى حزم :

ـ معذرة .. امنحنى الملف الكامل للعملية ، ثم حاول أن تنسى أنك حتى قد التقيت بى يومًا .. هذا أفضل للجميع .

انعقد حاجبا ضابط الشرطة ، وهو يقول فى حدة :

ـ مهلاً .. كيف تتصوّر الأمر بالضبط ؟!.. لعبة طريفة ، لا تحتاج إلى من يشاركك فيها ؟!.. كلّا يا رجل .. إنك ستواجه عصابات المخدرات .. أشرس وأحقر فئة وسط اللصوص والمجرمين .. الفئة التى لا يتورّع الواحد منها على ذبح والده نفسه ، لو أنه يخشى خطره .. إنها حرب طاحنة شعواء يا رجل ، ومن المستحيل أن يخوضها رجل واحد ، مهما بلغ شأنه .

قال (أدهم) فى برود :

ـ حقًا ؟!

ثم استطرد فى هدوء مثير :

ـ لا تقلق نفسك بشأنى ، فقط امنحنى المعلومات ، وثق بأنه عندما تحين لحظة الندم ، لن أكون أنا من يندم .

وانعقد حاجباه فى عنف بغتة ، وهو يضيف فى صرامة عجيبة :

ـ وهذا وعد .

ولم يناقشه ضابط الشرطة مرة ثانية ..

★ ★ ★

استرخى (حسين شدّاد) فوق مقعد وثير ، فى حديقة فيلته ، المطلّة على النيل مباشرة ، وأمسك قدحًا من البيرة المثلّجة ، يرتشف رشفة صغيرة منه ، بين الحين والآخر ، ليمزجها بدخان سيجارته ، وهو يتطلّع إلى النيل الهادئ والشمس المشرقة ..

وفى خطوات سريعة ، عبر رجل نحيل طويل الحديقة ، ومال على أذن (حسين) ، قائلاً فى لهجة عجيبة ، تجمع ما بين الجدية والسخرية والحزم والشماتة :

ـ لقد مات الضابط .

سأله (حسين) ، دون أن يلتفت إليه :

ـ متى ؟

أجابه الرجل مبتسمًا :

ـ منذ ساعة واحدة .. أنا قادم من المستشفى مباشرة .

هزَّ (حسين) رأسه فى ارتياح ، ثم قال :

- هل تحدَّث إلى أحد قبيل مصرعه ؟

أجابه الرجل :

- نعم .. إلى قريب نه ، رجل أعمال ، لست أذكر أننى رأيته من قبل .

سأله (حسين) :

- وهل تحدَّث إلى الشرطة ؟!

ابتسم الرجل فى خبث ، وقال :

- وحتى لو فعل .. لا أحد يمكنه إثبات أى شىء .. إنه مجرَّد رجل يحتضر ويهذى .

صاح (حسين) فى وجهه بغتة :

- غبى !

تراجع الرجل فى حركة حادة ، وهو يكرِّر فى دهشة :

- غبى ؟!

أجابه (حسين) فى حدة :

- بالطبع .. ما كان ينبغى أن يصل ذلك الضابط إلى المستشفى حيًا .. لقد أمرتكم بالتخلّص منه ، ولكنكم عجزتم عن تنفيذ هذه العملية التافهة ، وعرضتمونا جميعًا للخطر .

ارتبك الرجل ، وهو يقول :

- ولكن ما فعلناه به كان يكفى لقتله ثلاث مرات على الأقل ، ولست أدرى كيف نجا ، بعد هذا كله ؟! إنه محظوظ حتمًا .

صرخ (حسين) فى وجهه :

- محظوظ ؟!.. لا وجود لمثل هذه الكلمة فى قاموسنا أيها الغبى .. كان من الضرورى أن تتأكّدوا من موته ، قبل أن ...

قاطعه رجل آخر من رجاله ، وهو يقول بغتة :

- معذرة يا باشا .. ولكن هناك رجل يلحّ فى رؤيتك .

انعقد حاجبا (حسين) فى توتر ، وهو يقول :

- يلحّ ؟!.. من هو ؟

والتفت بجسده كله ، يتطلّع إلى بوّابة الفيلا ، ورفع النحيل عينيه معه إليها ، ثم هتف فجأة ، فى توتر شديد :

- إنه هو ؟!

سرى القلق على الفور فى جسد (حسين) ، وهو يتطلّع إلى (أدهم) ، الذى يقف هادئًا ، أمام باب الفيلا ، وقال فى عصبية :

- هو من ؟!

أجابه النحيل :

- رجل الأعمال ، الذى تحدَّث إليه الضابط قبيل موته .

انعقد حاجبا (حسين) أكثر ، وهو يقول فى توتر :

- هو نفسه ؟!

ثم صاح فى الرجل :

- قل له : إننى أرفض مقابلته .. لن أقابل أى شخص اليوم .

عاد الرجل فى خطوات سريعة إلى (أدهم) ، ورآه (حسين) يتحدَّث إليه فى حدة ، فى حين يتطلّع إليه (أدهم) فى هدوء شديد ، وبعدها

استدار (أدهم) ، وابتعد عن البوّابة المعدنية ، فتنهّد (حسين) فى ارتياح ، وقال :

ـ لقد انصرف .

ولكن (أدهم) دار على عقبيه فجأة ، على بعد عشرة أمتار من البوّابة ، ثم انطلق يعدو نحوها بغتة ، فاتسعت عينا (حسين) فى دهشة ، فى حين هتف النحيل :

ـ ماذا يفعل هذا المجنون ؟!

قبل أن تنتصف عبارته ، كان (أدهم) قد وثب متعلّقًا بأعلى البوّابة المعدنية ، ثم وثب فى الهواء وثبة رائعة مبهرة ، دار خلالها جسده دورة رأسية مدهشة ، وعبر البوّابة المعدنية ، ليستقرّ فى حديقة الفيلا ، ثم يندفع نحو حرّاس (حسين) الثلاثة ..

وانتزع الحرّاس مسدساتهم المرخّصة ، ولكن أحدهم لم ينجح فى تصويبها نحو (أدهم) ، الذى بلغهم فى لحظة واحدة ، وركل مسدس أوّلهم بقدمه اليمنى ، فى نفس اللحظة التى غاصت فيها قدمه اليسرى فى معدة الثانى ، ثم تحرّكت قبضته الفولاذية ، لتحطّم فك الثالث ، ثم ترتدّ إلى أنف الأوّل ، وتثب إلى معدة الثانى .

وسقط الرجال الثلاثة فى لحظات قصار ، فهبّ (حسين) من مقعده ، وصاح بالنحيل :

ـ اتصل بالشرطة يا رجل .. أسرع .

انتزع النحيل نفسه من ذهوله ، وانطلق نحو الفيلا ، ليتصل برجال الشرطة ، ولكنه لم يكد يقطع مترًا واحدًا فى اتجاهها ، حتى كان

(أدهم) قد قطع الأمتار الستة ، التى تفصله عن (حسين شدّاد) ، وانتزع مسدسه ، وألصقه بأسفل ذقن هذا الأخير ، وهو يقول فى سخرية :

ـ ولا تنس أيضًا الاتصال بعربة نقل الموتى ، حتى لا نضيع المزيد من الوقت .

وصرخ (حسين) فى رعب :

ـ انتظر .. انتظر يا رجل .. لا تفعل شيئًا .

تجمّد النحيل فى مكانه ، وتردّدت يده ، فى طريقها إلى مسدسه ، حتى قال (أدهم) بنفس السخرية :

ـ هيا .. التقط مسدسك يا رجل ، ودعنا نر أينا أسرع فى إطلاق النار .

ارتجف جسد (حسين) بأكمله ، وهو يصرخ فى النحيل :

ـ ألق مسدسك يا (عرفان) .. ألقه أيها الغبى .

حسم هذا تردُّد (عرفان) .. فالتقط مسدسه ، وألقاه فى حنق ، تحت قدمى (أدهم) ، الذى قال بلهجة تهكمية :

ـ عظيم .. أنت طفل مطيع .. سأكافئك بقطعة من الحلوى ، فى المرة القادمة .

انعقد حاجبا (عرفان) فى حنق ، وهتف (حسين) :

ـ ماذا تريد يا رجل ؟.. ماذا تريد منى ؟

أجابه (أدهم) ، وهو يدفع فوهة مسدسه أكثر فى عنقه :

ـ لا شىء حاليًا أيها الوغد .. يمكنك أن تقول إنها زيارة ودّية للتعارف .

هتف (حسين) فى دهشة تمتزج بالاستنكار :

ـ ودية ؟!

أجابه (أدهم) فى صرامة :

ـ نعم .. مادام رجالك على قيد الحياة ، فهى زيارة ودية ، أردت بها أن أخبرك أن تجارتك قد كسدت ، منذ ظهورى فى الساحة ، ولم تعد تحقّق ربحًا مناسبًا ، والأفضل لك أن تعتزل ، وتنسحب من حلبة السباق فى هدوء .

شحب وجه (حسين) ، وتصبّب عرقًا ، وهو يقول :

ـ ماذا تعنى ؟

انعقد حاجبا (أدهم) على نحو مخيف ، وهو يتطلّع إلى عينيه مباشرة ، قائلاً :

ـ أعنى أنك قد انتهيت يا رجل ، وصدر حكم الإعدام ضدك ، فإما أن تفرّ بحياتك من هنا ، أو تفرّ حياتك منك .. مفهوم .

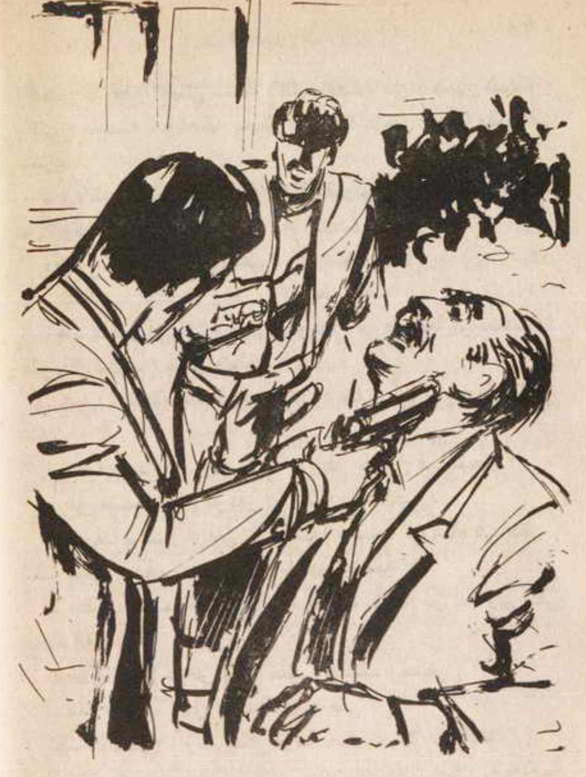
قالها ودفعه فى قوة ، فارتطم بمقعده ، وسقط معه أرضًا ، فى حين اعتدل هو ، وقال لحارس البوّابة فى لهجة آمرة يصعب تحدّيها :

ـ افتح البوّابة .

أطاعه الرجل فى سرعة وخوف ، فاستدار (أدهم) ، وتحرّك فى هدوء نحو البوّابة ..

وهنا ألقى (عرفان) خوفه وذهوله جانبًا ، وقفز نحو مسدسه ، و ...

وانطلقت رصاصة من مسدس (أدهم) ..



تجمّد النحيل فى مكانه ، وتردّدت يده ، فى طريقها إلى مسدسه ..

لم يدر (عرفان) كيف شعر (أدهم) بما يفعله ، ولا متى أطلق النار ، ولكنه رأى مسدسه يقفز بعيدًا ، وسمع (أدهم) يقول فى سخرية :

ـ ألم تخبرك أمك ، ما الذى يفعله العبث بالنيران ؟

ثم أعاد مسدسه فى هدوء إلى سترته ، وعبر البوّابة ، واستقلّ سيارته ، وانطلق بها مبتعدًا ..

وهنا فقط صاح (حسين) :

ـ لا تقفوا هكذا كالأصنام .. هيا .. تحرّكوا .. افعلوا شيئًا .

سأله (عرفان) فى حنق :

ـ وماذا نفعل ؟

صرخ (حسين) :

ـ طاردوه .. اقتلوه .. أبلغوا الشرطة .. لا تتركوه يمضى بكل بساطة هكذا ، بعد كل ما فعله .

ارتبك رجاله ، وتبادلوا نظرات حائرة ، حتى اندفع إليهم حارس البوّابة ، هاتفًا :

ـ لقد حصلت على رقم سيارته .

صاح (حسين) :

ـ خطوة لا بأس بها .. هيا يا (عرفان) .. خذ منه رقم السيارة ، واذهب فورًا إلى إدارة المرور ، واحصل لى على اسم وعنوان هذا الرجل بأى ثمن .. هل تفهم ؟!.

وتفجّر الغضب مع كل حرف من حروف كلماته ، وهو يستطرد :

ـ لا أريده أن يرى منتصف الليل .. أريده جثة هامدة ، قبل أن تكمل الساعة دقاتها الاثنتى عشرة .

وتضاعف غضبه أكثر وأكثر ..

★ ★ ★

كانت عقارب الساعة تشير إلى تمام الثانية عشرة ظهرًا ، عندما استجاب (أدهم) لرنين جرس شقته ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة هادئة ، وهو يقول :

ـ أهلاً بك أيها الضابط .. لم أتوقع رؤيتك مرة ثانية بهذه السرعة .

انعقد حاجبا ضابط الشرطة ، وهو يقول :

ـ كنت أتوقع رؤيتك حزينًا ، بعد وفاة ابن عمك ، وأقرب أقربائك إلى قلبك .

أجابه (أدهم) فى لهجة ساخرة ، تفوح برائحة المرارة :

ـ وما مظهر الحزن الذى توقعته ؟.. أن أبكى ؟

تطلّع إليه الضابط لحظة فى صمت ، ثم قال :

ـ لا .. ليس مثلك من يفعلها .

ثم استطرد فى سرعة :

ـ وبالمناسبة .. اسمى (كمال) ، وليس (أيها الضابط) .. والآن هل يمكننى الدخول ، أم أنك ... ؟

قاطعه (أدهم) ، وهو يفسح الطريق :

ـ تفضّل على الرحب والسعة .

خطا (كمال) إلى منزل (أدهم) ، وألقى نظرة طويلة عليه ، فى حين أغلق (أدهم) الباب خلفه ، ووقف صامتًا ، حتى التفت إليه (كمال) ، وقال فى شىء من الحدة :

ـ ما هذا الذى فعلته ؟

سأله (أدهم) فى هدوء :

ـ ماذا تقصد ؟

بدا الضيق على وجه (كمال) ، وهو يقول :

ـ اسمع يا سيِّد (أدهم) .. سبق أن أخبرتك أننا نراقب فيلا (حسين شدَّاد) ، طوال الأربع والعشرين ساعة ، ولقد رأى رجالنا ما فعلته هناك هذا الصباح ، وبعضهم ما يزال فى ذهول ، للأسلوب الذى اقتحمت به الفيلا ، والجميع يؤكدون أنك محترف ، من قمة رأسك ، وحتى أخمص قدميك .. بل ويصرّون على أنك لست محترفًا عاديًا ، بل أشبه بأولئك الذين نشاهدهم فى الأفلام السينمائية ، ولكن كل هذا لم يدهشنى ؛ فقد سبق أن روى لى (محمود) ـ رحمه الله ـ الكثير عن قدراتك .. ولكن الذى يدهشنى حقًا هو لماذا ذهبت إلى هناك ؟.. ولماذا تحديت (حسين شدَّاد) ، بهذا الأسلوب الاستفزازى المباشر .

هزَّ (أدهم) كتفيه فى بساطة ، وقال :

ـ أنت قلتها .. إنه أسلوب استفزازى بحت ، المقصود به إثارة دهشته وغضبه .. بل وجنونه لو اقتضى الأمر ، والتعامل معه بأسلوب غير مألوف ، لم يعامله به أحد فى السابق ، ولا يتوقَّع أن يعامله به أحد قط .

سأله (كمال) فى دهشة :

ـ ولماذا ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

ـ حتى يلجأ إلى (البارون) .

التقى حاجبا (كمال) فى حذر ، وهو يقول :

ـ وماذا بعد ؟

ابتسم (أدهم) ابتسامة غامضة ، وهزَّ كتفيه فى بساطة ، وهو يقول :

ـ ماذا تتوقَّع ؟

ران عليهما الصمت لحظات ، وكلاهما يتطلَّع إلى عينى الآخر مباشرة ، ثم زفر (كمال) فى توتر ، وقال :

ـ اسمعنى جيِّدًا .. أنت تعمل بشكل غير رسمى .. وغير قانونى فى الوقت ذاته .. وهذا يعنى أنه لا يمكننى حمايتك قط .. هل يبدو لك هذا مفهومًا ؟

ابتسم (أدهم) ابتسامة خفيفة ، وتمتم :

ـ بالتأكيد .

وهنا اندفع (كمال) إلى الباب ، وقال :

ـ إلى اللقاء إذن .. لو أنك بقيت على قيد الحياة .

وغادر المنزل كالعاصفة ، فاتسعت ابتسامة (أدهم) ، وهو يغمغم :

ـ ومن منا يضمن البقاء على قيد الحياة ، بعد لحظة واحدة من الآن ، حتى ولو رقد فى فراشه ؟

لم يدر لحظتها أن أحد رجال (حسين) كان يصوِّب مسدسه إليه ، من خلف عمود رخامى بالرواق ، وهو يغمغم فى سخرية :

ـ نعم .. من يضمن هذا .

ثم ضغط الزناد ..

وانطلقت رصاصة صامتة ..

وقاتلة .

★ ★ ★



٣ ـ حفل خاص ..

عندما بدأ والد (أدهم) تدريبه ، فى السنوات الأولى من عمره ، كان أكثر ما اهتمَّ به هو تنمية حاسة السمع لديه ..

وليس هذا بالأمر العجيب ، أو المستحيل ، كما قد يتصوَّر البعض ..

كل الحواس يمكن تنميتها بالتدريب ..

كلها بلا استثناء ..

وعندما بلغ (أدهم) العاشرة من عمره ، كان خبيرًا لا يشق له غبار ، فى هذا المجال ..

وفى كل عام يمضى ، كانت خبرته هذه تتضاعف ، وتتضاعف ..

وفى ذلك اليوم ، عندما كان رجل (حسين شدَّاد) يصوِّب إليه مسدسه ، المزوَّد بكاتم للصوت ، أثبت (أدهم) أنه صار أكثر من خبير ، بالنسبة للأصوات ..

لقد انتظر حتى استقلَّ (كمال) المصعد ، ليهبط به إلى الطابق الأرضى ، واستعدَّ لإغلاق الباب ، عندما التقطت أذناه بغتة صوتًا ضئيلاً ..

صوت إبرة مسدس تُسحب للخلف ..

وفى سرعة مدهشة ، تراجع (أدهم) داخل المنزل ، ومال إلى اليسار ..

وفى اللحظة نفسها أطلق الرجل رصاصته ..

وفى اللحظة التالية ، رأى (أدهم) يندفع نحوه ، فتراجع بحركة غريزية ، وهمَ بإطلاق رصاصة ثانية ، ولكن (أدهم) بلغه بسرعة خرافية ، وأطاح بمسدسه بضربة ماهرة ، ثم هوى على فكه بلكمتين متتاليتين ، وهو يقول فى سخرية :

ـ خسرت يا رجل .. والآن حان دورى .

ولأن (أدهم) قد درس تشريح ووظائف الجسد البشرى جيّدًا ، فقد أتقن ضربتيه ، بحيث أدارتا رأس الرجل ، دون أن تفقداه وعيه ..

وعندما سقط المسدس من يد الرجل ، لم يبلغ أرضية الرواق ، فقد التقطه (أدهم) بخفة لا مثيل لها ، ودسّه فى جيبه ، ثم جذب الرجل إلى شقته ، وهو يقول فى سخرية :

ـ هيا إلى الداخل يا رجل .. لا يصحّ أن نتبادل الحديث هنا .

دفعه داخل شقته فى عنف ، وأغلق الباب خلفه فى إحكام ، ثم استدار بسرعة ، ولكم الرجل فى معدته ، قائلاً :

ـ دعنى أقدّم لك واجبات الضيافة أوّلاً .

انثنى الرجل ، وتأوّه فى ألم ، فدفعه (أدهم) إلى مقعد قريب ، ثم جذب مقعدًا ، وجلس أمامه مباشرة ، وسأله فى صرامة :

ـ والآن أيها الوغد .. من أرسلك لقتلى ؟

تأوّه الرجل ، قبل أن يقول فى عصبية وخشونة :

ـ لن تحصل منى على ...

قبل أن يتمّ عبارته ، كانت قبضة (أدهم) ترتطم بفكه كالقنبلة ، وتحطّم إحدى أسنانه الأمامية ، فصرخ وهو يشعر بمذاق الدم فى حلقه :

ـ أيها الـ ...

أخرسته لكمة ثانية ، أشدّ قوة من سابقتها ، أطارت ثلاث أسنان أخرى ، قبل أن يقول (أدهم) :

ـ من الواضح أن أحدًا لم يلقنك درسًا كافيًا ، بشأن مخاطبة الآخرين يا رجل ..

والآن سنعيد السؤال الأوّل .. من أرسلك لقتلى .

قالها وضمّ قبضته مرة أخرى ، فهتف الرجل فى ارتياع :

ـ السيّد (حسين شدّاد) هو الذى أرسلنى .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

ـ عظيم .. كنت أعلم أننى أستطيع إقناعك بالحديث ..

ثم جذبه إليه فجأة فى عنف ، وقال :

ـ اسمع أيها الوغد .. سأفعل الآن آخر شىء تتوقّعه .. سأتركك ترحل .

حدّق الرجل فى وجهه بدهشة ، وهتف :

ـ حقًّا ؟!

أجابه (أدهم) :

ـ نعم أيها الحقير .. سترحل من هنا دون مسدسك ، وستحمل رسالة إلى الوغد الذى أرسلك ..

وابتسم فى سخرية ، مضيفًا :

ـ رسالة خاصة .

واتسعت ابتسامته ..

★ ★ ★

انعقد حاجبا (حسين) فى شدة ، وهو يقول للرجل ، الذى عاد بأسنان محطَّمة مكسورة :

ـ ماذا تقول ؟!.. كرِّر على مسامعى تلك الرسالة السخيفة .

ازدرد الرجل لعابه ، الذى لم يزل منه طعم الدم بعد ، وقال :

ـ يقول : إنه قرَّر دخول عالم المخدرات ، وهذا يعنى أنه لم يعد لك مكان فيه ، فإما أن تنسحب فى هدوء ، أو يجبرك على ابتلاع كل كمية المخدرات ، التى ستحصل عليها فى المرة القادمة .

تقافزت شياطين الغضب فى وجه (حسين) ، وصاح :

ـ إذن فهو يحاول إقناعنا بأنه مجرَّد تاجر مخدرات ؟.. لا .. لن نصدق هذا الزعم السخيف قط .

قال (عرفان) فى حذر :

ـ ولكنه ليس أحد رجال الشرطة ، فتحرياتنا عنه تقول : إنه رجل أعمال .

لوَّح (حسين) بكفه ، وهو يقول :

ـ أى نوع من الأعمال ؟!.. اسمه غير مدرج فى كشوف المصدرين أو المستوردين ، وليس له عمل معروف .

تردَّد (عرفان) لحظة ، قبل أن يقول :

ـ ربما يعمل فى تجارتنا نفسها .

انعقد حاجبا (حسين) فى شدة ، وهو يقول :

ـ مستحيل !.. لو أنه يعمل فى هذا المجال ، لسمعنا اسمه منذ فترة طويلة .

هزَّ (عرفان) كتفيه ، وقال فى حذر وخفوت :

ـ ربما هو مثل (البارون) .

صاح به (حسين) فجأة :

ـ اصمت .

ثم انخفض صوته ، وهو يستطرد فى عصبية :

ـ لا تذكر هذا الاسم هنا قط .

خفض (عرفان) صوته ، وقال :

ـ ولكن ربما ينبغى أن نبلغه بما حدث ، فالأمر ليس بسيطًا .

عقد (حسين) حاجبيه طويلاً ، فى تفكير عميق ، قبل أن يقول :

ـ لا .. أخشى أن يكون هذا ما يسعى إليه .

خفض (عرفان) صوته أكثر ، وهو يقول :

ـ ولكنك تتصل به ، منذ فترة طويلة ، دون أن يكشف أحد أمره .

قال (حسين) فى حزم :

ـ ولكننى أشعر بالخطر هذه المرة .

اعتدل (عرفان) ، وهزَّ رأسه ، قائلاً :

ـ فليكن .. أنت صاحب القرار .

ظلّ (حسين) عاقدًا حاجبيه لحظات ، ثم قال فى حسم :

ـ اسمع يا (عرفان) .. ألغ أوامرى السابقة ، بقتل ذلك الرجل .. أريد منكم الآن أن تراقبوه .. أحصوا أنفاسه ، عدّوا خطواته .. راقبوا كل خلجة من خلجاته .. أريد معرفة ما يسعى إليه بالضبط ، وبعدها سأنتقل إلى الخطوة التالية ، فإما أن نتخلّص منه تمامًا ، أو ...

وصمت لحظة ، ثم أردف فى حزم :

ـ أو نبلغ (البارون) .

★ ★ ★

كانت عقارب الساعة تشير إلى السابعة وست دقائق بالتحديد ، عندما أوقف (أدهم) سيارته ، فى ساحة انتظار فندق (ميناهاوس) ، وتقدّم من موظف الاستقبال ، يسأله :

ـ هل يمكننى مقابلة السيّد (عفت كاظم) ؟. إنه نزيل تركى هنا .

ابتسم الموظف ، وأشار إلى بهو الفندق ، قائلًا :

ـ إنه يجلس هناك .

استدار (أدهم) يتطلّع إلى الرجل الضخم الجثة ، الذى يجلس فوق أريكة كبيرة ، فى منتصف الردهة ، منهمكًا فى مطالعة صحيفة تركية ، ثم اتجه إليه ، وقال بالتركية :

ـ السيّد (عفت كاظم) .

رفع (قدرى) عينيه إليه ، وتهللت أساريره ، وهو يقول :

ـ (أدهم) .. واصديقى العزيز .. كيف ...

قاطعه (أدهم) بصوت خافت :

ـ بالتركية يا صديقى .. المفروض أنكْ مليونير تركى .

ضحك (قدرى) ، وخفض صوته ، وهو يقول :

ـ ولكننى لا أعرف حرفًا واحدًا من التركية ، ولا أجيد أية لغة أجنبية ، باستثناء بعض الإنجليزية .

قال (أدهم) مبتسمًا :

ـ تحدّث بالإنجليزية إذن .

جلس (أدهم) إلى جواره ، فطوى (قدرى) صحيفته ، وقال بالإنجليزية فى خفوت :

ـ ماذا هناك بالضبط ؟.. لقد فعلت كل ما طلبته منّى ، فصنعت لنفسى جواز سفر تركيًا ، يحمل صورتى بكل وسامتها وجمالها ، وأقمت فى حجرة هنا .

ابتسم (أدهم) ، وقال :

ـ هذا يكفى يا صديقى .. سنتحدّث قليلًا ، ثم تعود إلى حجرتك ، وترحل فى الصباح الباكر .. وبالمناسبة .. الطعام هنا جيّد وشهى .

ضحك (قدرى) ، وهو يقول :

ـ لقد لاحظت هذا .

ثم بدا الاهتمام فى ملامحه وصوته ، وهو يستطرد :

ـ ولكن ماذا هناك بالضبط ؟

أجابه (أدهم) :

ـ هناك بعض المجرمين ، قتلوا ابن عمى (محمـود) ،

ويراقبوننى منذ أكثر من ساعتين ، بعد أن فشلوا فى قتلى ، وهمْ يتصوَّرون الآن أننى واحد من تجار تلك السموم ، التى يحققون منها أرباحهم الطائلة ، أو يشكّون فى هذا على الأقل ، ولقائى بك سيثير شكوكهم أكثر وأكثر .. وهذا ما أريده .

هتف (قدرى) مبهورًا :

ـ مخدرات ومجرمين ؟!.. من أقحمك فى هذا العالم يا صديقى ؟

انعقد حاجبا (أدهم) فى شدة ، وهو يقول :

ـ الثأر يا صديقى .. الثأر لابن عمى المسكين ، الذى عذبوه فى وحشية ، قبل أن يقتلوه بلا رحمة .

هتف (قدرى) بصوت خافت :

ـ الثأر ؟!.. يا إلهى !.. حديثك هذا يجعلنى أشعر بالخوف والشفقة .

وصمت لحظة ، ثم أردف بابتسامة ماكرة :

ـ تجاههم .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها هذه العبارة ، همس أحد رجال (حسين شدَّاد) ، فى أذن زميله ، الجالس إلى جواره ، فى بهو فندق (ميناهاوس) :

ـ لقد اتضحت الأمور تقريبًا .. إنه يعقد واحدة من صفقاته ، مع ذلك التركى البدين .. إنه ينافسنا فى أسواقنا .. سأتصل بالزعيم .

نهض ليجرى اتصالًا بزعيمه (حسين) ، الذى استمع إليه فى اهتمام ، قبل أن يغمغم :

ـ عجبًا !.. كل هذا ، من أجل المخدرات ؟!

ثم قال للرجل ، عبر أسلاك الهاتف :

ـ فليكن .. إننا لن نسمح بوجود منافس هنا .. انتظروا حتى يغادر الفندق ، و ...

ازدرد لعابه فى توتر ، ثم أضاف فى حزم :

ـ واقتلوه .

وأنهى الاتصال على الفور ..

★ ★ ★

انتهى حديث (أدهم) و (قدرى) الهامس ، فى التاسعة والربع تقريبًا ، وبعدها صعد (قدرى) إلى حجرته بالفندق ، وغادره (أدهم) مستقلًا سيارته ، وانطلق بها فى هدوء ، وهو يراقب مرآتها الخارجية ، قبل أن يبتسم فى سخرية ، مغمغمًا :

ـ عظيم .. إنهم يتبعون الطريق الذى أرسمه بالتحديد .

غادر الساحة بسيارته ، وهو يراقب تلك السيارة التى تتبعه ، وحرص على السير بسرعة عادية ، وسط المارة والطرقات ، والسيارة تتبعه بنفس سرعته ، حتى بلغ منطقة أهرامات الجيزة ، وهنا زادت السيارة المطاردة من سرعتها بغتة ، واقتربت منه ، ولكنها لم تتجاوزه ، فتمتم فى سخرية ، وهو يزيد من سرعته :

ـ نفس الخطة المألوفة .. الاقتراب ، ثم إطلاق النار ، و ...

بتر عبارته بغتة ، عندما انتبه إلى السيارة الضخمة ، التى

اعترضت طريقه على حين غرة ، فى نفس اللحظة التى زادت فيها السيارة المطاردة من سرعتها أكثر ، وانطلقت بمحاذاته ..

كانت خطة جديدة بالنسبة إليه ..

إنهم يدفعونه إلى حادثة سير مثيرة ..

وقاتلة ..

★ ★ ★



٤ ـ الحــــادث ..

فى كل الظروف العصيبة والمتوترة ، وعند مواجهة الخطر ، يعمل عقل الإنسان بسرعة وكفاءة تفوقان المعتاد ..

هذا بالنسبة لكل البشر ..

أما بالنسبة لرجل مثل (أدهم صبرى) ، فالخطر كان يعنى بالنسبة لعقله الكثير ..

كان يعنى القفز فى لحظة واحدة إلى الذروة ..

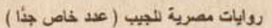
وهذا ما حدث ..

لقد رأى (أدهم) تلك السيارة الضخمة تعترض طريقه ، والأخرى تمنعه من الانحراف إلى اليمين ، لتفادى الاصطدام ، وسرعته تمنعه من التوقف فى الوقت المناسب ..

لذا فقد انتزع (أدهم) مسدسه بلا تردّد ، وأطلق النار على السيارة التى تنطلق بمحاذاته ، فمال بها سائقها بحركة غريزيّة إلى اليمين ، وفى اللحظة ذاتها ، مال (أدهم) بسيارته يمينًا ، وارتطم بالسيارة ، ودفعها إلى اليمين أكثر وأكثر ، ثم زاد من سرعة سيارته ، وعبر بها ذلك الفراغ ، بين السيارتين ، وهو يطلق نفيرًا قويًّا ..

ولم يكن ذلك بالأمر الهيِّن ..

لقد مالت سيارته بشدة إلى اليمين ، وارتفع إطاراها من الناحية اليسرى ، حتى بدا لحظة وكأنها ستنقلب على جانبها الأيمن ، إلا أن (أدهم) عاد بعجلة القيادة إلى اليسار فى حركة حادة ، فارتطم إطارا اليسار بالأرض فى عنف ، وارتفع إطارا اليمين ، واحتكّ الجانب



الأيسر لسيارته بمقدمة السيارة الضخمة ، ثم أفلتت سيارته من الفخ ، وانطلقت بسرعة مبتعدة ..

وصرخ قائد السيارة المطاردة :

ـ إنه يهرب .. أسرع يا رجل .. الحق به .

بلغ (أدهم) الطريق الصحراوى ، فى هذه اللحظة ، فأطلق العنان لسيارته ، ولكن السيارة المطاردة لحقت به ، وأخرج رجالها مسدساتهم ، وراحوا يطلقون النار على سيارته ، واخترقت رصاصاتهم زجاج سيارته الخلفى ، وأصابت حقيبة السيارة ، فانعقد حاجبا (أدهم) ، وهو يقول :

ـ فليكن .. أنتم أردتم هذا .

ثم انتزع مسدسه ، وأدار عجلة القيادة فى حدة ، فدارت السيارة حول نفسها ، وأطلقت إطاراتها صريرًا مخيفًا فوق الطريق ، و ...

ولكن الرياح لا تأتى دائمًا بما تشتهى السفن ..

لقد أصابت إحدى الرصاصات إطار سيارة (أدهم) الأمامى ، فى اللحظة التى تدور فيها السيارة حول نفسها ..

وانفجر الإطار ..

انفجر بدوى عنيف ، ووثبت السيارة من مكانها على نحو مخيف ، وارتطمت بالرمال ، ثم انقلبت ، وراحت تتدحرج فوق الرمال فى عنف ..

وأوقف رجال (حسين شدّاد) سيارتهم ، وصاح أحدهم :

ـ لقد انقلبت به السيارة .

ثم أفلتت سيارته من الفخ ، وانطلقت بسرعة مبتعدة ..

ولكن الآخرين لم يكتفوا بهذا ، بل راحوا يطلقون النار نحو سيارة (أدهم) ، حتى اشتعل خزان الوقود ..

ودوى الانفجار ..

انفجار قوى عنيف ، ارتجّت له منطقة محدودة من الطريق الصحراوى ، واشتعلت النيران فى سيارة (أدهم) ، وتنهّد رجال (حسين) فى ارتياح ، وابتسم أحدهم ، وهو يقول :

ـ عظيم .. الآن فقط انتهت المنافسة ..

وبدا عليه ارتياح عظيم ..

★ ★ ★

تألقت فيلا (حسين شدّاد) بالأضواء ، فى تلك الليلة ، مع الحفل الذى يقيمه فى فيلته كل أسبوع ، وبدا (حسين) نفسه فى أبهى حلة ، وهو يدور بين ضيوفه ، ويتبادل معهم بعض الأحاديث القصيرة وعبارات المجاملة ، إلا أن التوتر ظلّ يحفر خطوطه على ملامحه ، حتى أن (عرفان) اقترب منه ، وغمغم :

ـ سيّدى .. حاول أن تهدأ قليلًا .. قلقك يبدو واضحًا .

غمغم (حسين) :

ـ لست وحدى الذى يشعر بالقلق الليلة ..

هتف (عرفان) فى دهشة :

ـ هل أبلغت الـ ...

قاطعه (حسين) فى صرامة :

ـ لا تنطق هذا .

كتم (عرفان) انفعاله فى أعماقه ، وقال :

ـ ولكن كيف يا سيّدى ؟!.. كيف يمكنك الاتصال به ؟

قال (حسين) فى توتر :

ـ هذا سرى .

اقترب منه ، فى هذه اللحظة ، أحد رجاله ، وهو يحمل الهاتف اللاسلكى ، قائلًا :

ـ مكالمة عاجلة من أحد رجالنا يا سيّدى .

اختطف (حسين) الهاتف فى لهفة ، وهتف عبره :

ـ أنا (حسين شدّاد) .. من المتحدّث ؟

انعقد حاجباه لحظات ، وهو يستمع إلى محدّثه ، ثم برقت عيناه فى شدة ، وهو يقول فى انفعال :

ـ حقًا !

ثم أنهى الاتصال بسرعة ، وتهلّلت أساريره على نحو واضح ، فسأله (عرفان) :

ـ هل قام الرجال بمهمتهم على خير وجه ؟

أجابه (حسين) فى سعادة :

ـ نعم .. لقد تخلّصوا منه .. احترقت سيارته عن آخرها ، فى الطريق الصحراوى .

ثم عدّل رباط عنقه القصير فى انتعاش ، مستطردًا :

ـ الآن فقط يمكننى التمتع بالحفل .. سأخبره على الفور .

قالها وابتعد فى خطوات سريعة ، وهو يعيد هاتف اللاسلكى إلى الرجل ، فانعقد حاجبا (عرفان) ، وهو يقول لنفسه :

- سيخبر (البارون) .. إنها فرصتى النادرة ، لأعلم كيف يتصل به ، ومن هو (البارون) .

تبعه فى لهفة ، واختفى خلف أحد الأعمدة الرخامية ، وراح يراقبه من بعيد ، ورآه يتحدث فى مرح ، مع ثلاثة من كبار رجال الأعمال ، وسمع أحدهم يقول ضاحكًا :

- ماذا أصابك يا (حسين) بك ؟!.. كنت تبدو منذ دقائق معدودة وكأنك خسرت صفقة عمرك ، والآن يلوح لى أنك ربحتها عن جدارة .

ضحك (حسين) من أعماقه ، وقال :

- هذا صحيح إلى حد ما .. كانت هناك مشكلة ضخمة تؤرقنى ، ثم أخبرنى أحد رجالى منذ لحظات ، أنه تم القضاء عليها .

سأله رجل أعمال آخر فى اهتمام :

- حقًا ؟!

ضحك (حسين) مرة أخرى ، وقال :

- نعم .. انتهت المشكلة تمامًا .

وهنا ابتسم الثالث فى هدوء ، وقال :

- عظيم .. دعونا نحتفل بهذه المناسبة إذن .

استغرق الثلاثة فى حديث مرح ، وتعالت ضحكات (حسين) عالية ، فى حين شعر (عرفان) بتوتر شديد فى أعماقه ، وهو يغمغم :

- أحدهم هو (البارون) .. أكاد أقسم على هذا .

ظلَّ يراقب رجال الأعمال الثلاثة طوال الحفل ، الذى انتهى فى الواحدة صباحًا كالمعتاد ، ولكنه لم يستطع التيقُّن من أن (البارون) أحدهم ، وعلى الرغم من هذا ، فلم يكد آخر المدعوين ينصرف ، حتى سأل (حسين) فى لهفة :

- هل أخبرته ؟

ابتسم (حسين) فى زهو ، وقال :

- بالطبع .

لحق به (عرفان) ، وهو يصعد إلى حجرة نومه ، وسأله وهو يعاونه على خلع سترته :

- لقد كان أحد المدعوين .. أليس كذلك ؟

انعقد حاجبا (حسين) فى غضب ، وهو يقول :

- ليس هذا من شأنك .. حذار أن تقحم نفسك فى أمور تفوق إدراكك .

ولكن الفضول كان قد بلغ ذروته فى أعماق (عرفان) ، فلم يستطع كتمان الأمر فى نفسه ، مما جعله يستطرد فى لهفة :

- إنه أحد ثلاثة .. (صفوت عبد الله) ، أو (موريس بشارة) ، أو (سليم حسان) .. أليس كذلك ؟

جذبه (حسين) من سترته فى عنف ، وصاح فى وجهه :

- اسمع يا (عرفان) .. لو تابعت حديثك ، فى هذا الشأن ، سينتهى بك الأمر إلى قطع لسانك ، أو ذبحك وسط رمال الصحراء .

انتفض جسده بغتة ، عندما سمع من خلفه صوتًا ساخرًا ، يقول :

ـ دعه يستطرد يا هذا ، فحديثه يروقنى كثيرًا .

اتسعت عينا (عرفان) فى ذهول ، فى حين استدار (حسين) بسرعة إلى مصدر الصوت ، ثم انتفض جسده كله فى عنف ، وهو يحدِّق فى وجه آخر شخص يتصوَّر أو يرغب فى رؤيته فى هذه اللحظة ..

وجه (أدهم صبرى) ..

★ ★ ★

مضت لحظات من الصمت والذهول ، و (حسين) و (عرفان) يحدِّقان فى وجه (أدهم صبرى) ، الذى ابتسم فى سخرية ، وقال وهو يصوِّب إليهما مسدسه :

ـ هل أدهشكما وجودى ؟

ارتجفت الكلمات على شفتى (حسين) ، وهو يقول :

ـ ولكن كيف ؟!.. كيف وصلت إلى هنا ؟!

هزَّ (أدهم) كتفيه ، وقال :

ـ اخترقت الجدران يا رجل ، كما يفعل أى شبح مهذب !.

ردَّد (حسين) فى ذهول :

ـ شبح ؟!

ابتسم (أدهم) ساخرًا ، وهو يقول :

ـ بالطبع .. ألم يبلغك رجالك أننى لقيت مصرعى حرقًا ، عندما انقلبت سيَّارتى ؟.. هل تدرك ما يعنيه هذا ؟.. إنه يعنى أنك مدين لى بثمن سيارة .

هتف (حسين) فى انهيار :

ـ سأدفع كل ما تطلبه .. سأمنحك سيارة جديدة .. أى طراز تفضِّل ؟!.. (مرسيدس) ، أم (بى.إم.دابليو) ، أم ...

قاطعه (أدهم) متهكمًا :

ـ دعك من هذا .. سأتنازل عن ثمن السيارة ، مقابل اسم واحد .

وانعقد حاجباه فى صرامة ، وهو يستطرد :

ـ اسم (البارون) .

ارتجف جسد (حسين شدَّاد) ، وهو يقول :

ـ مستحيل !.. لا يمكننى هذا .

قال (أدهم) :

ـ دعنى أعاونك .. لقد اختصر النحيل هذا الطريق ، وأبلغنا بثلاثة أسماء .. سأتلوها على مسامعك ، ويكفى أن تشير إلى اسم (البارون) .

ولكن فجأة ، استلَّ (عرفان) مسدسه ، وصاح وهو يزيح (حسين) جانبًا :

ـ لن تحصل عليه قط .

أطلق رصاصته نحو (أدهم) ، ولكن هذا الأخير أطلق رصاصته بدوره ..

وأصابت رصاصة (أدهم) (عرفان) ، الذى أطلق صرخة ألم ، وهو يسقط أرضًا ، فى حين انطلق (حسين) يعدو خارج حجرته ، صارخًا :

ـ إلىَّ يا رجال .. النجدة .. النجدة .

ـن يعدو بأقصى سرعته . وكأنما تطارده شياطين الأرض كلها فتعثر عند قمة السلم ، الذى يقود إلى الطابق الأرضى ، وسقط يتدحرج فوقة فى عنف ، حتى ارتطم جسده بالأرض أسفله ، وانبعثت من عنقه فرقعة مخيفة ، بعدها جحظت عيناه ، ثم تراخى جسده تمامًا ..

وساد الهرج والمرج داخل المكان ، وراح رجال (حسين شدّاد) يعدون فى كل ركن فيه بلا هدى ، بعد أن لقى زعيمهم مصرعه ..

ولكنهم لم يعثروا على أدنى أثر للرجل ، الذى تسلّل إلى الفيلا .. لقد اختفى (أدهم) ..

اختفى دون أن يترك خلفه أدنى أثر ..

★ ★ ★

ارتسمت على شفتى (أدهم) ابتسامة هادئة ، وهو يستقبل الضابط (كمال) فى منزله ، وقال فى ترحاب :

ـ تفضّل يا (كمال) .. كنت أتوقّع زيارتك هذه .

تطلّع (كمال) إلى ساعته ، وقال وهو يدخل شقة (أدهم) :

ـ عجبًا !.. إنك ترتدى ثيابك كاملة ، حتى رباط العنق ، على الرغم من أن الساعة لم تتجاوز السابعة صباحًا بعد ، ولقد عدت إلى منزلك فى الثانية صباحًا ، أى منذ خمس ساعات فحسب .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ـ بل عدت فى الثانية وعشر دقائق ، وألقيت التحية على الرجل الذى وضعته لمراقبتى .

بدا التوتر لحظة على وجه (كمال) ، قبل أن يقول :

ـ فليكن .. لن يمكنك إثارة دهشتى .

ثم جلس فوق أقرب مقعد صادفه ، وهو يقول :

ـ (حسين شدّاد) لقى مصرعه أمس ، ومساعده (عرفان) يصارع الموت فى المستشفى ، بعد إصابته برصاصة فى صدره .

قال (أدهم) فى هدوء :

ـ المفروض ألا تقتله الرصاصة .

انعقد حاجبا (كمال) فى شدة ، وهو يقول :

ـ إذن فأنت فعلتها .

هزّ (أدهم) كتفيه ، وقال :

ـ أنا لم أقل هذا ، ولكن يمكنك مواجهتى بأى دليل مادى يؤيد قولك .

صاح به (كمال) فى غضب :

ـ من تتصوّر نفسك بالضبط ؟.. إنك لست فوق القانون ، أيًا كان عملك أو رتبتك .. من أعطاك الحق فى فعل كل هذا .

قال (أدهم) فى بساطة :

ـ دعك من هذا الآن ، واستمع إلىّ جيدًا .. (عرفان) هذا يمكن أن يقودك إلى (البارون) .

قال (كمال) فى دهشة :

ـ من أبلغك هذا ؟!..

أجابه (أدهم) فى سرعة :

ـ العصفورة أخبرتنى .

هتف (كمال) فى عصبية :

- إننى أسأل هذا فى جدية ، فلقد أكّد (عرفان) أنه يستطيع إرشادنا إلى (البارون) ، وساومنا بشأن إطلاق سراحه مقابل هذا ، ثم فقد وعيه بعدها .

انعقد حاجبا (أدهم) فى شدة ، وهو يقول فى توتر مباغت :

- هل قال هذا فى وجود آخرين ؟

أجابه (كمال) فى دهشة :

- بالطبع .. قاله أمام كل الأطباء ، والصحفيين ، وطاقم التمريض .

هتف (أدهم) :

- عظيم .. كم كتيبة تركتها لحمايته إذن .

قال (كمال) فى توتر :

- هل تعنى أنه من المحتمل أن ...

قاطعه (أدهم) بسرعة :

- أسرع بنا يا رجل .. المنتصر فى هذه اللعبة من يصل أوّلًا .

انطلقا فى سيارة (كمال) إلى المستشفى ، و (أدهم) يلقى على نفسه سؤالًا واحدًا طوال الطريق ..

من يصل أوّلًا ؟!..

من ؟..

★ ★ ★

ابتسم ذلك الطبيب الوسيم فى هدوء ، فى وجهى الجنديين ، اللذين يحرسان حجرة (عرفان) بالمستشفى ، وقال :

- كيف حال المريض ؟.. هل فحص الدكتور (فهمى) نبضه مؤخرًا ؟

قال أحد الجنديين فى بساطة :

- لسنا نعرف أطباء المستشفى ، ولكن أحدهم زاره منذ ساعة أو أقل قليلًا .

أومأ الطبيب برأسه ، وقال :

- ساعة ؟!.. إنه وقت طويل للغاية .

ثم دفع باب الحجرة ، وهو يستطرد :

- لا بأس .. سأفحصه أنا .

وأغلق الباب خلفه فى هدوء ، وتوقّف عنده يتطلّع لحظة إلى (عرفان) ، ثم أخرج من جيبه محقنًا ، واتجه إليه ، ثم كشف ذراعه ، ودسّ إبرة المحقن فى وريده ..

وهنا ، فتح (عرفان) عينيه ، وقال :

- أ .. أين رجال الشرطة ؟

ابتسم ذلك الوسيم فى سخرية ، وقال :

- دعك من الشرطة الآن .. (البارون) يرسل إليك تحيّاته .

قالها وهو يدفع السائل الذى يحويه المحقن ، داخل أوردة (عرفان) ، الذى جحظت عيناه فى ارتياع ، وصرخ :

- لا .. لا .. النجدة .



وتلقَى جسد الطبيب الزائف ثلاث رصاصات متتالية فى صدره ، انتزعته من مكانه ، وضربت به زجاج النافذة ..

لم يكد ينطقها ، حتى اقتحم (أدهم) الحجرة ، صائحًا :

ـ توقّف .

وبسرعة مدهشة ، ترك الطبيب الزائف المحقن مغروسًا فى ذراع (عرفان) ، وانتزع من معطفه مسدسًا ، ورفعه نحو (أدهم) ، صارخًا :

ـ ابتعد عن طريقى .

وضغط الزناد ..

ولم يكن أمام (أدهم) سوى أن يطلق النار بدوره ..

ولقد فعل ..

وتلقَى جسد الطبيب الزائف ثلاث رصاصات متتالية فى صدره ، انتزعته من مكانه ، وضربت به زجاج النافذة ، فاخترقها جسده ، وهوى من ارتفاع ستة طوابق ، حتى ارتطم بالأرض فى عنف ..

وأسرع (أدهم) و (كمال) إلى (عرفان) ، ثم قال (أدهم) فى حنق ، بعد أن فحصه بسرعة :

ـ لقد لقى مصرعه .

ضرب (كمال) راحته اليسرى بقبضته اليمنى ، وهو يقول فى غضب :

ـ فقدنا الخيط ، الذى يمكن أن يقودنا إلى (البارون) .

التقى حاجبا (أدهم) وهو يقول :

ـ لا .. لم نفقده بعد .. مازال لدينا طرف خيط .

واكتست لهجته بالصرامة ، وهو يستطرد :

ـ طرف خيط قوى ..

★ ★ ★

اتسعت عينا (كمال) فى دهشة ، وهو يستمع إلى (أدهم) ، ثم هتف فى حدة :

ـ إذن فأنت تعرف أسماء المشتبه فيهم ؟!.. لماذا لم تبلغنى بالله عليك ؟.. لماذا أردت رؤية (عرفان) ، مادمت تعرف الأسماء التى يعرفها ؟

أجابه (أدهم) فى اهتمام :

ـ الأسماء وحدها لا تكفى .. كان من الضرورى أن أعرف كيف ولماذا اختار (عرفان) هذه الأسماء بالذات ، من دون الباقين ؟.. أى شىء أرشده إليها ؟

قال (كمال) :

ـ لا أحد يعرف هذا سوى (عرفان) نفسه .. ولقد لقى مصرعه ..

ثم سأله فى لهفة :

ـ ولكن دعك منه .. أخبرنى ما الأسماء التى سمعتها .

أجابه (أدهم) على الفور :

ـ (صفوت عبد الله) ، و (موريس بشارة) ، و (سليم حسَّان) .

لم يكد (أدهم) ينطق الاسم الثالث ، حتى اتسعت عينا (كمال) فى دهشة ، وهتف فى حزم واستنكار :

ـ (سليم حسَّان) ؟!.. مستحيل !.. يمكنك استبعاد الاسم الثالث من القائمة دون تردد .

سأله (أدهم) فى دهشة :

ـ ولماذا هو بالذات ؟!

أجابه (كمال) :

ـ لأن (سليم حسَّان) رجل فوق الشبهات .. إنه رجل أعمال ناجح ، وأستاذ علم الاقتصاد بالجامعة ، ومرشّح لمنصب وزير .. ثم .. ثم إنه لم يكن يحضر حفلات (حسين شدَّاد) إلا فيما ندر .

التقى حاجبا (أدهم) ، وهو يغمغم :

ـ حقًّا ؟!.

ثم نهض من مقعده ، وتطلّع عبر النافذة لحظات ، قبل أن يقول :

ـ من الواضح أننا نختلف كثيرًا ، فى طبيعتنا ونظرتنا للأمور ، فما تراه أنت مستحيلًا ، قد أراه أنا الواقع بعينه .. أنت تحكم على الأمور من منطلق تفكيرك وطبيعة عملك ، كرجل شرطة وقانون ، يحتاج إلى دلائل وقرائن وبراهين .. أما أنا ، فأستخدم عادة غريزتى ، وخبرة طويلة ، فى التعامل مع الأوغاد ..

والتفت إلى (كمال) مستطردًا :

ـ ومن هذا المبدأ ، سنقسم الأمر فيما بيننا .. أنت تراقب (صفوت عبد الله) ، و (موريس بشارة) ، واترك لى ذلك الذى ترغب فى استبعاده .. (سليم حسَّان) .

انعقد حاجبا (كمال) فى شدة ، ولكنه لم يعترض .. لم يعترض قط .

★ ★ ★

٥ ـ اللقـــاء ..

انطلق أحد الأطباق ، من جهاز القذف الآلى ، وشق طريقه فى سماء نادى الصيد فى (الدقى) ، وتابعته فوهة بندقية لحظة ، ثم انطلقت منها رصاصة ، حطمت الطبق ، ونسفته نسفًا ، فتصاعد صوت تصفيق حار من الجالسين ، وهتف أحدهم فى حماس :

ـ رائع يا (سليم) بك .. رائع .. أنت اليوم متألق كالمعتاد .. لقد أصبت ثمانية أطباق من عشرة .

ابتسم (سليم حسان) ، وقال وهو يعيد حشو بندقيته :

ـ هذا أقل من المعتاد .

انطلقت ضحكة أنثوية طويلة ، من بين شفتى امرأة فى أوائل الثلاثينات ، أنيقة الملبس ، خضراء العينين ، لها شعر أشقر مصبوغ ، وتمسك بين أصابعها سيجارة أجنبية الصنع ، وهى تقول فى شىء من الزهو :

ـ (سليم) يصيب عادة تسعة أطباق على الأقل .

همّ أحد الحاضرين بنطق عبارة مجاملة ، عندما ارتفع فجأة صوت ساخر ، يقول :

ـ ولماذا يفقد الطبق العاشر ؟

التفت الجميع إلى مصدر الصوت ، وتوقفت عيونهم عند وجه (أدهم صبرى) الوسيم ، وابتسامته الواثقة الساخرة ، وهو يحمل بندقية عادية ، مصرية الصنع ، ويقف إلى جوار أحد أعضاء النادى

القدامى ، فتبادلوا نظرة حائرة مستنكرة ، فى حين قالت الشقراء ، موجهة حديثها إلى عضو النادى :

ـ أستاذ (رفعت) .. من صديقك هذا ؟

ابتسم (رفعت) ، وهو يقول :

ـ الأستاذ (أدهم صبرى) .. رجل أعمال ، وعضو قديم بالنادى ، ولكنه نادرًا ما يأتى إليه ، على الرغم من سداده الاشتراك بانتظام .

قال (سليم حسان) ضاحكًا :

ـ هذا يعنى أنه لا يزاول تدريبات الرماية بانتظام .

أجابه (أدهم) فى سرعة :

ـ وعلى الرغم من هذا ، فلن أخطئ الطبق العاشر .

ابتسمت الشقراء فى سخرية ، وقالت :

ـ ولماذا نكتفى بالحديث ؟.. المثل القديم يقول : الماءُ يكذب الغطاس .

بدت لهم ابتسامة (أدهم) أكثر سخرية ، وهو يقول :

ـ فكرة جيدة .

رفع (سليم) بندقيته على كتفه ، وقال :

ـ هل تتحدانى ؟

هزّ (أدهم) كتفيه بلا مبالاة ، وقال :

ـ هل يؤرقك هذا ؟

انعقد حاجبا (سليم) ، وهو يقول فى حدة :

ـ مطلقًا .

ثم أشار إلى العامل على جهاز قذف الأطباق الآلى ، وقال :

ـ هيا يا (عوض) .. عشرة أطباق لكل منا .

ورمق (أدهم) بنظرة جانبية ساخرة ، وهو يضيف :

ـ وبأقصى سرعة .

بادله (أدهم) نظرته الساخرة بأخرى ، واتجه معه إلى ساحة الرماية ، وقال وهو يحشو بندقيته :

ـ (حسين شذّاد) لقى مصرعه .

تطلّع إليه (سليم) فى دهشة ، ثم أطلق بندقيته على أوّل الأطباق ، وأصابه إصابة مباشرة ، قبل أن يقول :

ـ أعلم هذا .. قرأته فى صحف الصباح .

أطلق (أدهم) رصاصته ، ونسف طبقه أيضًا ، وهو يقول :

ـ فى صحف الصباح ؟!.. عجبًا !.. كنت أتصوَّر أن الخبر قد بلغك قبل هذا بكثير .

أصاب (سليم) طبقه الثانى ، وهو يسأله :

ـ وكيف يبلغنى ؟

أطلق (أدهم) النار على طبقه ، وهو يقول :

ـ المفروض أن علاقتك به قوية ، وأنك تعرف كل شىء عنه .

نسف (سليم) الطبق الثالث ، وقال :

ـ ليس الأمر كما تتصوَّر .. علاقتى بـ (حسين شذّاد) لم تكن أبدًا قوية .

أطلق (أدهم) الرصاص على طبقه الثالث فى بساطة ، وهو يقول :

ـ ولكن غيابه ترك فراغًا بالطبع .

سأله (سليم) ، وهو يصيب الطبق الرابع :

ـ فراغ فى ماذا ؟

أجابه (أدهم) بلهجة ساخرة ، وهو يحطِّم طبقه :

ـ فى حلقة تعاملاتك .

التفت إليه (سليم) فى دهشة ، وقال :

ـ ماذا تقصد ؟

هتف (أدهم) ، وهو يشير إلى السماء :

ـ طبقك يا رجل .

التفت (سليم) بسرعة إلى الطبق ، وأطلق رصاصته ، ولكنه أخطأ الطبق الخامس ، فتحرَّك (أدهم) بسرعة ، وأطلق رصاصته نحوه ، ونسفه ، ثم قال فى سخرية ، وهو يعيد حشو بندقيته فى سرعة ؛ ليظفر بطبقه هو :

ـ أقصد أننى أستطيع إصابة ما يفلت منك .

قالها ونسف طبقه الخامس ، فانعقد حاجبا (سليم) فى توتر وغضب ، إلا أنه حاول تجاهل هذا ، وهو يطلق رصاصته نحو الطبق السادس ، ويحطِّمه ، ثم قال فى ضيق :

ـ إنك تبدو غامضًا .

أصاب (أدهم) طبقه السادس ، وقال :

ـ لماذا ؟!.. لقد انزاح (حسين) عن الطريق ، ويمكننى أن أحلَ محلّه ، خاصة وأن لدى صفقة ممتازة .

انعقد حاجبا (سليم) ، وأطلق النار على الطبق السابع ، وقال فى حذر :

ـ أية صفقة ؟

أطلق (أدهم) النار على طبقه السابع بدوره ، وهو يقول :

ـ صفقة مع تاجر تركى ، من كبار مصدّرى هذا الصنف .. (عفت كاظم) .. هل سمعت عنه ؟

حطّم (سليم) طبقه الثامن ، وقال :

ـ مطلقًا .. أى تاجر هو .

نسف (أدهم) طبقه وهو يقول فى اقتضاب :

ـ مخدرات .

ارتجف جسد (سليم) كله ، وحدّق فى وجه (أدهم) بذهول ، فرفع (أدهم) بندقيته ، وهو يبتسم فى سخرية ، قائلا :

ـ اسمح لى .

وأطلق النار على طبق (سليم) التاسع ، وفجّره فى الهواء ، قبل أن يقول :

ـ خسرت طبقين حتى الآن يا (سليم) .

قالها وأطلق النار على طبقه هو ، ثم استطرد فى تهكّم :

ـ وهذا يعنى أننى الفائز .

أطلق (سليم) النار على طبقه العاشر فى عصبية ، ولكنه أصابه فى منتصفه تمامًا ، وقال فى حدة :

ـ لقد خدعتنى ؛ لتشتّت انتباهى .

أطلق (أدهم) بندقيته على طبقه العاشر ، وهو يطلق ضحكة ساخرة ، ثم قال :

ـ عشرة لثمانية .. خسرت يا سيّد (سليم) .

انعقد حاجبا (سليم) فى غضب ، فى حين قالت الشقراء ، وهى تنفث دخان سيجارتها :

ـ أنت رام بارع يا أستاذ (أدهم) .. لقد هزمت زوجى .

قال (سليم) فى حدة :

ـ إنه مخادع .

ابتسم (أدهم) ، وقال :

ـ تعلّم تقبُّل الهزيمة يا سيّد (سليم) ، وفكّر فيما عرضته عليك .

ثم التفت إلى الشقراء ، زوجة (سليم حسّان) ، مستطردًا :

ـ صحيح أننى هزمت زوجك هذه المرة يا سيّدتى ، ولكن هذا لن يعنى شيئًا بالنسبة إليه .. إنه (البارون) .

انعقد حاجباها فى دهشة ، وبدا توتر ملحوظ على وجه (سليم) ولكن (أدهم) استدرك فى سرعة :

ـ البارون فى التصويب ، بالنسبة لأعضاء النادى .

قالها وانصرف ، واثقًا من أنه قد ترك الأثر المنشود .. وأى أثر ..

* * *

« .. خطأ .. »

نطق (كمال) الكلمة فى حزم شديد ، وهو يجلس إلى جوار (أدهم) ، فى سيارة هذا الأخير ، على بعد أمتار قليلة من نادى الصيد ، ثم استطرد فى عصبية :

ـ ما فعلته مع (سليم حسّان) بالداخل هو الخطأ بعينه .. لقد أجريت ـ منذ افترقنا أمس ـ تحريات مكثفة حول رجال الأعمال الثلاثة ، ولم أجد ما يمكن أن يثير ذرة واحدة من الشك حولهم .. وبالذات (سليم حسّان) .. إن صحيفته ناصعة البياض .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

ـ هذا وحده يكفى لإثارة الشكوك حوله .

هتف (كمال) فى دهشة :

ـ أى منطق هذا ؟

أجابه (أدهم) بسرعة :

ـ منطق العصر يا صديقى .. منطق الغابة التى نحيا فيها هذه الأيام .. لغة المال والأعمال ..

لقد أصبح الأمر يبدو كما لو أن الصدق والأمانة والشرف ، كلها صفات بائدة قديمة ، لم يعد عالم الأعمال يعترف بها ، حتى أنه لمما يثير الدهشة أن تجد رجل أعمال ثريًا ، له صحيفة ناصعة البياض ، دون تهرّب جمركى ، أو رشوة ، أو حتى تهرّب وتحايل ضريبى .. أليس كذلك ؟

عقد (كمال) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ ولكن لغتنا واضحة فى هذا الشأن ، فصحيفة (سليم حسّان) نظيفة تمامًا ، مادام لم يدن فى أية تهم سابقة .. بل ولم توجّه إليه حتى هذه التهمة .. ولا تنس أن الرجل مرشّح لمنصب وزير ، وهذا يعنى أنهم تحرّوا عنه طويلًا .

صمت (أدهم) لحظات ، ثم قال فى هدوء :

ـ هنا تكمن البراعة .

زفر (كمال) ، وهو يقول :

ـ مازلت عنيدًا .

هزّ (أدهم) رأسه ، وهو يقول فى حزم :

ـ ليس عنادًا ، وإنما إصرارًا .

والتقى حاجباه ، وهو يضيف :

ـ وسترى أن ما فعلته سيؤتى ثماره .

وتنهّد ، مضيفًا :

ـ هذا ما أشعر به .

قالها وهو يضفى عليها الكثير من الثقة والحزم ، ولكنه كان فى أعماقه يشعر بشىء من القلق ، ويلقى على نفسه سؤالًا متوترًا .

هل أصاب هدفه حقًا ؟!..

هل ؟..

★ ★ ★

ظلّ (سليم حسّان) صامتًا ، معقود الحاجبين لفترة طويلة ، بعد

انصراف (أدهم) ، حتى أن أحد الحاضرين قال بابتسامة قلقة ، محاولًا التسرية عنه :

ـ لا تنفعل هكذا يا (سليم) بك .. إنه محظوظ فحسب .

التفت إليه (سليم) فى شرود ، وقال :

ـ من تقصد ؟

ارتبك الرجل ، وهو يقول :

ـ ذلك الشاب .. (أدهم صبرى) .

مطّ (سليم) شفتيه ، وقال وهو يشعل سيجارته :

ـ إنه غريب الأطوار .

تطلّعت إليه زوجته الشقراء فى قلق ، ثم مالت نحوه ، هامسة :

ـ ما الذى يقلقك ؟

أجابها فى توتر :

ـ حديثه .

شعرت بما يعانيه ، فنهضت قائلة :

ـ أظن أنه حان موعد عودتنا يا (سليم) .. لقد بدأت أشعر بالتعب .

نهض على الفور ، متمتمًا :

ـ بلا شك .

ألقيا التحية على أصدقائهما ، وانصرفا على الفور ، فقال أحد الأصدقاء فى حيرة :

ـ لماذا انفعل (سليم) بك هكذا ؟.. هل أغضبه أن يهزمه ذلك الشاب ؟

هزّ آخر رأسه ، وهو يقول فى حيرة أشدّ :

ـ لا .. لا أعتقد هذا .. (سليم) بك رياضى ، ولن تحنقه الهزيمة إلى هذا الحد .. أظنه حوارهما فى أثناء الرماية .. لقد تحدثا بعض الشىء ، وأثار الحديث (سليم) بك ، حتى أنه أخطأ طبقين .

قال ثالث فى فضول :

ـ ترى ما الذى قاله ذلك الشاب ؟

بقى سؤاله معلّقًا فى سماء مجلسهم ..

ودون جواب ..

أما فى سيارة (سليم) ، فقد ألقت زوجته الشقراء السؤال ذاته عليه ، فانعقد حاجباه ، وقال فى توتر :

ـ قال كلامًا سخيفًا .

مالت نحوه ، وسألته فى فضول :

ـ ما هو ؟.

تردّد لحظات ، ثم قال فى حنق :

ـ تحدّث عن مصرع (حسين شدّاد) ، ثم قال إنه سيحلّ محله ، وأن لديه صفقة كبرى ، ثم ذكر شيئًا عن تجارة المخدرات .

تراجعت هاتفة فى دهشة :

ـ تجارة المخدرات ؟!

ثم انعقد حاجباها ، وهى تستطرد :

ـ ما الذى يقصده بهذا ؟ .

صمت (سليم) لحظات ، ثم هزّ رأسه ، مغمغمًا :

ـ لست أدرى .

وتبدّى السخط فى كلماته بغتة ، مع استطرادته :

- ثم لماذا وصفنى بـ (البارون) ؟

أشعلت زوجته سيجارتها ، وقالت فى توتر :

- هناك شىء ما خلف هذا الشاب ..

ونفثت دخان سيجارتها ، وهى تختلس نظرة جانبية إليه ، قبل أن تضيف فى حذر :

- ما رأيك لو أبلغنا الشرطة ؟

هزّ رأسه فى عنف ، وهو يقول :

- كلّا .. لا أحب التدخلات الرسمية فى عملنا .

ثم التقط سمّاعة هاتف السيارة ، وهو يضيف :

- ولكن يمكننا الحصول على مساعدة غير رسمية .

انتظر لحظات ، بعد أن طلب الرقم المنشود ، ثم قال :

- مساء الخير يا (ممدوح) بك .. أنا (سليم) .. (سليم حسّان) .. كيف حالك ؟. وكيف حال جهاز الشرطة كله ؟. رائع .. اسمع يا (ممدوح) بك .. هناك رجل أعمال يعرض علىّ صفقة جيدة ، ولكننى لم أسمع اسمه من قبل .. هل يمكنك إجراء بعض التحريات الخاصة عنه .. نعم .. أشكرك كثيرًا .. بالتأكيد .. كل بياناته لدى .. لقد حصلت عليها من إدارة النادى .. اسمه (أدهم صبرى) ، ويقيم فى (المهندسين) ، فى شارع ...

نقل إليه كل البيانات ، التى حصل عليها من بطاقة عضوية (أدهم) فى نادى الصيد ، ثم أنهى المحادثة ، والتفت إلى زوجته ، قائلًا :

- هكذا يمكننا معرفة خصمنا جيّدًا .

نفثت دخان سيجارتها ، وهى تقول فى خفوت :

- عظيم .

وواصلت سيارتهما طريقها ..

★ ★ ★

كانت عقارب الساعة تشير إلى السادسة مساءً ، عندما التقى (أدهم) بـ (قدرى) ، فى بهو فندق (سميراميس) ، وابتسم (قدرى) ؛ وهو يستقبل (أدهم) ، قائلًا :

- مرحبًا يا عزيزى المصرى .. ما رأيك فى صديقك التركى ، الذى طاب له العيش فى هذا الفندق الأنيق ، مادام لن يدفع فاتورة الإقامة أو الطعام ؟

قال (أدهم) فى جدية :

- دورك لم ينته بعد يا صديقى .. أخبرنى .. هل نفّذت ما طلبته منك ؟

أجابه (قدرى) ضاحكًا :

- بالطبع .. أصابعى فى خدمتك دائمًا يا صديقى ، حتى ولو كان هذا بغير الطريق الرسمى ..

ثم ناوله جواز سفر ، قائلًا :

- ها هو ذا جواز سفرك ، باسمك الحقيقى (أدهم صبرى) ، وستجد به عدة تأشيرات قديمة وحديثة ، تؤكّد سفرك بشكل شبه منتظم إلى (تركيا) ، وهذه بطاقة تفيد انضمامك إلى سجل التجار فى

(اسطنبول) .. أما بالنسبة للأمور الأخرى ، فقد سجلت اسمك فى سجل المصدرين والمستوردين ، واستخرجت لك بطاقة ضريبية قديمة ، وسجلًا تجاريًا .. بغير الطريق الرسمى بالطبع ، لأن تاريخ الاستخراج يعود إلى ثلاثة أعوام مضت .. هل من طلبات أخرى ؟

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

ـ هذا يكفى فى الوقت الحالى .

سأله (قدرى) فى اهتمام :

ـ قل لى يا (أدهم) : ما الذى تتوقعه من ذلك الرجل (سليم حسّان) ؟

اعتدل (أدهم) ، وأجاب :

ـ أن يقدم على أحد عملين .. إما أن يتصوّر أننى بالفعل مهرّب مخدرات ، يرغب فى احتلال موقع (حسين شدّاد) بعد مصرعه ، وفى هذه الحالة ستقنعه هذه الأوراق ، وتخدعه ، وأقترب منه أكثر ، حتى أبلغ عنقه ، أو أن يشكّ فى أمرى تمامًا ، ويقدم على تصرّف أحمق يكشف أمره .

سأله (قدرى) :

ـ هل تؤمن تمامًا بأنه ذلك (البارون) ؟!

هزّ (أدهم) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لا .. ليس تمامًا ، ولكن ما فعلته سيدفعه حتمًا إلى التحرّك فى أحد الاتجاهين ، لو أنه حقًا (البارون) .

هزّ (قدرى) رأسه متفهمًا ، ثم تراجع مبتسمًا ، وهو يقول :

ـ هل تعلم يا (أدهم) ؟.. إننى أشعر بالدهشة ؛ لأنك تعمل هذه المرة على أرض (مصر) ، ويبدو لى أن مثل هذا العمل لا يناسبك .

وافقه (أدهم) بإيماءة من رأسه ، وهو يقول :

ـ صدقت يا صديقى .. أنا أيضًا أشعر أن هذا العمل لا يناسبنى ، فقد اعتدت مواجهة العمالقة ، فى ساحات قتال مفتوحة ، ولكن مقتل (محمود) يؤلمنى بشدة ، ويجعلنى شديد الإصرار على الثأر له ، وتنفيذ وصيته الأخيرة ، بأن أعثر على هذا (البارون) ، وأنقذ شبابنا من شروره وسمومه ، التى يفسد بها العقول والنفوس والعزائم .

سأله (قدرى) :

ـ وماذا لو لم يكن (سليم حسّان) هو (البارون) بالفعل ؟

صمت (أدهم) لحظات ، ثم أجاب :

ـ فى هذه الحالة سأكون قد فقدت بعض الوقت فحسب ، فسأبدأ مرةً أخرى مع رجل آخر .

وعاد يبتسم ، وهو يستطرد :

ـ صدقنى يا صديقى .. إنها مسألة وقت فحسب .

قالها وهو يدرك تمامًا أن الأمر لا يقتصر فعليًا على الوقت ، بل يمتدّ إلى الخطر والقلق ..

بل والموت نفسه ..

* * *

٦ ـ التحـدّى ..

أغلق (سليم) أذنيه بسدّادات الأذن الخاصة ، وأمسك مسدسه فى إحكام ، وهو يصوّبه إلى هدفه ، فى ساحة الرماية بالنادى ، وأطلق رصاصاته الست دفعة واحدة ، ثم رفع السّدادة عن أذنه ، وانحنى يتطلّع عبر منظار خاص إلى الهدف ، عندما سمع صوت (أدهم) إلى جواره ، وهو يقول :

ـ إصابة لابأس بها .

اعتدل (سليم) فى حركة حادة ، وهو يقول فى عصبية :

ـ أنت مرة أخرى ؟!

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

ـ أنسيت أننى عضو بالنادى ؟

ثم تطلّع إلى هدف (سليم) من بعيد ، وهزّ كتفيه ، وقال :

ـ يمكنك أن تفعل ما هو أفضل .

قال (سليم) فى حدة :

ـ وماذا عنك ؟

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وأخرج مسدسه ، وصوّبه إلى الهدف ، فقال (سليم) فى توتر :

ـ نسيت ارتداء سدّادات الأذنين .

أجابه (أدهم) فى هدوء :

ـ لقد اعتدت صوت الرصاصات .

وأطلق رصاصاته الست نحو الهدف ..

واتسعت عينا (سليم) فى دهشة :

ـ لقد أصابت الرصاصات الست منتصف الهدف تمامًا ، حتى أنها صنعت ثقبًا كبيرًا ، فهتف (سليم) :

ـ أين تعلّمت الرماية ؟

أجابه (أدهم) ، وهو ينتزع خزانة مسدسه ، ويحشوها مرة أخرى بالرصاصات :

ـ فى أماكن عديدة .

ثم التفت إليه يسأله :

ـ هل درست العرض ، الذى قدّمته لك ؟

انعقد حاجبا (سليم) فى شدة ، وهو يقول :

ـ اسمع يا رجل .. لقد أجريت بعض التحريات بشأنك ، وكلها تشير إلى أنك بالفعل رجل أعمال ، إلا أننى لا أثق بهذه النتائج ، وأرفض التعامل معك ، بأية صورة من الصور .

قال (أدهم) فى هدوء :

ـ أهذا قرارك الأخير أيها (البارون) ؟

صاح به (سليم) فى حدة :

ـ لا تكرّر هذا الاسم على مسامعى .. ابتعد .. لست أرغب حتى فى التحدّث إليك .

قالها واندفع يغادر المكان ، عائدًا إلى حيث تجلس زوجته الشقراء ، وسمعه (أدهم) يقول فى حدة :

ـ سأعود إلى المنزل .. لم أعد أحتمل البقاء .
وهنا شعر (أدهم) بقلق حقيقى ..
لا ريب فى أنه مخطئ حتمًا ..
هذا الأسلوب العصبى المتوتر ، الذى يتعامل به (سليم) ، لا يمكن أن يتفق مع شخصية رجل داهية مثل (البارون) ..
لقد أخطأ (أدهم) الهدف ..
تمامًا مثلما افترض (قدرى) ..
وفى حلقه ، شعر بمذاق مرير ، وطعم لم يعتده قط ..
طعم الهزيمة ..

★ ★ ★

ساعة كاملة مرّت ، دون أن يغادر (أدهم) مقعده ، فى ركن الشرفة ، أو ينبس ببنت شفة ..
كان هناك شىء يثير حيرته ، فى الموقف كله ..
شىء يتعلّق بشخصية (سليم حسّان) ..
لو أن ما ذكره (عرفان) قبيل مصرعه ، عن رجال الأعمال الثلاثة صحيح ، فهذا يعنى أن (سليم) هو المشتبه فيه رقم واحد ..
مادام (البارون) يثير حيرة رجال الشرطة إلى هذا الحد ، فهو حتمًا شخصية لا يتطرّق إليها الشك ، وليست دائمة الحضور ، فى حفلات (حسين شدّاد) ، التى ستوضع حتمًا تحت أنظار كل رجل شرطة فى المنطقة ..
كيف يتفق هذا إذن مع شخصيته المتوترة العصبية ؟!..

نهض يسير فى الشرفة لحظات ، وهو يدرس الأمر بذهنه ، عندما دقّ فجأة جرس باب منزله ، فانتبهت حواسه كلها ، واعتدل مغمغمًا :
ـ تُرى من يأتى لزيارتى الآن ؟
التقط مسدسه من جيب سترته ، وتحرّك على أطراف أصابعه نحو الباب ، وفتحه فى حركة مباغتة ، ومسدسه متأهب للانطلاق ، و ...
وكانت المفاجأة ..
كانت تقف أمامه زوجة (سليم حسّان) الشقراء ، التى ابتسمت فور رؤيته ، وقالت وهى تلقى نظرة على مسدسه :
ـ مساء الخير يا أستاذ (أدهم) .. هل تسمح لى بالدخول ؟
استغرق (أدهم) جزءًا يسيرًا من الثانية ، لينسف أثر المفاجأة تمامًا ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة باردة ، وهو يقول :
ـ لماذا ؟
رفعت حاجبيها فى دهشة ، وقالت :
ـ أستاذ (أدهم) .. لا يصحّ أن ترفض مطلب سيّدة لزيارتك .
قال فى لهجة تفوح منها رائحة السخرية :
ـ حقًّا ؟!.. كيف أتصوّر العكس ، بصفتى رجلًا أعزب .
ضحكت الشقراء ، قائلة :
ـ لابأس .. أنا أثق بك .
ثم دلفت إلى الداخل فى خطوة واثقة ، وأغلقت الباب خلفها ، وهى تسأله :
ـ أراك ترتدى كامل ثيابك .. هل كنت تستعد للخروج ؟

أجابها فى اقتضاب :

ـ كلّا .

ابتسمت فى خبث غامض ، وهى تشعل سيجارتها ، قائلة :

ـ عجبًا !.. تصوَّرتك ذاهبًا إلى فندق (ميناهاوس) ، لمقابلة ذلك التركى البدين (عفْت كاظم) .

قالتها وهى تتطلَّع إليه فى ترقُّب ، وكأنما تنتظر رؤية الدهشة فى ملامحه ، ولكنه ظل هادئًا لا مباليًا ، وهو يقول :

ـ لا .. ليس الليلة .

رفعت أحد حاجبيها فى إعجاب ، ونفثت دخان سيجارتها قبل أن تقول :

ـ أستاذ (أدهم) .. هل تعلم أنك تثير غضب زوجى وسخطه بشدة ؟

سألها (أدهم) :

ـ ألهذا أرسلك ؟

هزّت رأسها نفيًا ، وهى تقول :

ـ إنه لا يعلم حتّى أننى هنا .

لم يسألها لماذا أتت ، وإنما اكتفى بالصمت ، وهو يتطلّع إليها ، فنفثت دخان سيجارتها مرة أخرى ، وقالت :

ـ هل ترغب حقًّا فى العمل ، بدلًا من (حسين شدّاد) ؟

شعر بشىء يقفز فى أعماقه مع سؤالها ، ولكنه عقد ساعديه أمام صدره ، وهو يقول فى صوت هادئ للغاية :

ـ أظننى أوضحت هذه النقطة .



كانت تقف أمامه زوجة (سليم حسّان) الشقراء ، التى ابتسمت فور رؤيته ..

ابتسمت ابتسامتها الخبيثة ، وهى تقول :

ـ هذا صحيح ، ولكنك أخطأت الهدف .

قفزت إلى ذهنه فكرة مجنونة ، وهى تستطرد :

ـ فزوجى لا يعرف أى شىء عن حقيقة عمل (حسين شدّاد) ، ولم يسمع فى حياته كلها اسم (البارون) .

سألها (أدهم) فى حذر :

ـ أيعنى هذا أن ...

قاطعته بابتسامة مزهوّة :

ـ نعم يا عزيزى (أدهم) .. كان ينبغى أن تتحدث إلىّ أنا منذ البداية .. أنا (نوال رمزى) .. (البارون) .

وكانت مفاجأة عنيفة بحق ..

★ ★ ★

شهقت (منى) فى دهشة ، عندما بلغ (قدرى) هذه المرحلة من روايته ، وهتفت :

ـ زوجة (سليم حسّان) هى (البارون) ؟!.. يا إلهى !.. هذا يفسّر كل شىء ، فلقد تساءلت ، وأنت تروى قصتك ، كيف أن (سليم حسّان) ما يزال واحدًا من أشهر رجال الأعمال فى (مصر) ، حتى هذه اللحظة ، وتصوّرت أن (البارون) كان أحد الرجلين الباقيين .. (صفوت عبد الله) ، أو (موريس بشارة) ، ولكننى تذكّرت أن كليهما ما يزال يعمل حتى الآن .. الأوّل فى تجارة الأخشاب ، والثانى فى صناعة الملابس ، وأصابتنى الحيرة ، حتى عرفت أن زوجة (سليم) كانت هى (البارون) .

ابتسم (قدرى) ، وهو يقول :

ـ كانت مفاجأة .. أليس كذلك ؟

أجابته مخلصة :

ـ بالتأكيد .

ثم اعتدلت ، تسأله فى لهفة :

ـ وكيف استقبل (أدهم) الخبر ؟

هزّ كتفيه ، وقال :

ـ أنت تعرفين (أدهم) أكثر منى .. نادرًا ما يشفّ وجهه عما يعتمل فى أعماقه .

قالت (منى) :

ـ ولكن المهم أنه وصل إلى بغيته ، وعرف من هو (البارون) .

ارتسمت على شفتى (قدرى) ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

ـ حقًّا ؟!

انعقد حاجبا (منى) ، وهى تقول :

ـ (قدرى) .. لماذا تبدو غامضًا هذه المرة ؟

ضحك (قدرى) ، وهو يقول :

ـ بل أحاول ألا أفسد عليك متعة المتابعة .

هتفت فى دهشة :

ـ هل تعنى أن (نوال) هذه كانت تخدعه ؟

أجاب بسرعة :

ـ ليست أعنى شيئًا كهذا .

ثم مال نحوها ، مستطردًا :

ـ ولكن المفاجأة لم تنته بعد .

نجح بعبارته فى تفجير قدر هائل من فضولها ، فقالت فى لهفة :

ـ حسن .. تابع روايتك .. كلى آذان صاغية ..

ابتسم فى ارتياح ، وعاد إلى مقعده الكبير ، يسترخى فوقه ، قائلًا :

ـ نعم .. دعينا نتابع الرواية ..

وعاود الحديث ..

★ ★ ★

على الرغم من أن تصريح (نوال) كان مباغتًا للغاية ، ولم يتوقَّعه (أدهم) قط ، إلا أنه كتم كل شعوره بالدهشة فى أعماقه ، وبدا ظاهريًا كأهدأ ما يكون ، وهو يقول :

ـ إذن فأنت (البارون) .

انقلبت الدهشة إليها ، وهى تقول :

ـ عجبًا !.. كنت أتوقَّع أن يدهشك هذا إلى حد الذهول ، ولكنك تبدو كما لو أنك كنت تتوقَّع هذا .

ابتسم فى سخرية ، وهو يقول :

ـ ربّما .. ولكن الفكرة أعجبتنى كثيرًا ، فأن تحضرين الحفلات مع زوجك ، وتبدين مجرَّد زوجة مطيعة ، فى حين يعمل عقلك وتعمل حواسك ، لالتقاط رسائل (حسين شدَّاد) ، و ...

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، فسألته هى فى قلق :

ـ ماذا هناك ؟.. واصل حديثك .

انحلّ انعقاد حاجبيه بسرعة ، وعادت ابتسامته الساخرة إلى شفتيه ، وهو يقول :

ـ لا شىء .. مجرَّد فكرة مجنونة ، قفزت إلى ذهنى فجأة .

سألته فى اهتمام شديد :

ـ أية فكرة ؟

لوَّح بكفه ، قائلًا :

ـ لا عليك .. إنها مجرَّد فكرة .

تطلَّعت إليه فى حيرة وتساؤل ، وهى تنفث دخان سيجارتها ، ثم سألته :

ـ أستاذ (أدهم) .. هل أنت على استعداد للعمل فعليًا ، بدلًا من (حسين شدَّاد) .

عقد ساعديه أمام صدره ، وهو يقول فى سخرية :

ـ هل أعلن فى الصحف عن هذا ؟

ابتسمت فى خبث ، وقالت :

كلّا .. الأمر لا يحتاج إلى كل ذلك .

ثم اعتدلت ، وقالت فى حزم :

ـ فليكن يا أستاذ (أدهم) .. فى هذه الحالة ، سألتقى الليلة بذلك التاجر التُركى ، الذى تتحدَّث عنه .. (عفت كاظم) ، وبعدها أقرِّر ، ما إذا كنت ستعمل معى ، بدلًا من (حسين شدَّاد) ، أم لا .

ونفثت دخان سيجارتها مرة أخرى ، مضيفة :

- إلى اللقاء الآن يا أستاذ (أدهم) .. سألتقى بك فى (ميناهاوس) ، فى الثامنة مساءً .

تركها تغادر منزله فى هدوء ، والفكرة المجنونة ، التى برزت فى عقله تعظم وتتضخم ، وتزداد حجمًا .. وجنونًا ..

* * *

قفز (كمال) من مقعده فى ذهول ، وهو يهتف :

- (نوال رمزى) هى (البارون) ؟!.. يا إلهى !.. من يمكن أن يخطر بباله هذا ؟

أجابه (أدهم) فى حزم :

- لا تجعل هذا يدهشك ، فتلك المرأة كاذبة .

حدّق (كمال) فى وجهه بذهول ، وقال :

- كاذبة ؟!.. أى قول هذا يا رجل ؟.. لقد أتت إليك بقدميها ، وأخبرتك أنها (البارون) .. ألا تعلم ما يعنيه هذا ؟.. إنه يعنى أنها تعرّض نفسها للسجن ، و ...

قاطعه (أدهم) بسرعة :

- أو تعمل على حماية شخص آخر .

انعقد حاجبا (كمال) فى شدة ، وهو يقول :

- أتقصد زوجها ؟

هزّ (أدهم) رأسه نفيًا ، وقال :

- بل أقصد (البارون) الحقيقى ..

بدت دهشة كبيرة على وجه (كمال) ، ولكن (أدهم) تابع على الفور :

- الشىء الوحيد ، الذى أثق به ، هو أن (حسين) كان يتصوّر طوال الوقت ، أن (نوال) هذه هى (البارون) ، ولكن ذلك لم يكن حقيقيًا ، فمن الواضح أن (البارون) أذكى من هذا بكثير ، وأكثر خبثًا ، وغموضًا ، إنه يختفى وراء ستار سميك ، ويضع أمامه عشرات الأقنعة ، التى تجعل التوصّل إليه شبه مستحيل .

سأله (كمال) فى دهشة :

- ولماذا تصوّرت هذا ؟

أجابه (أدهم) :

- لأنك قلت : إن (سليم حسّان) مرشّح لمنصب وزير ، وأنهم أجروا تحريات خاصة بشأنه ، وهذا يعنى مراجعة ذمته المالية ، وذمة زوجته وأبنائه .. و (البارون) كما أخبرتنى ، هو أكبر مموّل لصفقات المخدرات ، مما يحتم وجود سيولة مالية كبيرة لديه ، تتحرّك طوال الوقت ، وتتزايد مع نجاح كل صفقة ، ومن المستحيل أن تكون (نوال رمزى) هى صاحبة كل هذا ، وإلا لانكشف أمرها بأسرع مما تتصوّر .. هذا ما أثار قلقى فى البداية .. وقبل أن تقع هى فى الخطأ الأكبر .

سأله (كمال) فى اهتمام :

- أى خطأ ؟!

أجاب (أدهم) :

- خطأ طلب مقابلة التاجر التركى .. فـ (البارون) كما أجمع الكلّ ، رجل حذر للغاية ، لايضع نفسه قط موضع الشبهات ، فماذا عن مقابلة تاجر مخدرات ، ربما يكون له سجل حافل هنا ، أو أن يكون مراقبًا ، على أقل تقدير .

هتف (كمال) :

- هذا صحيح .. (البارون) لن يقع فى هذا الخطأ قط .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يسأل فى حيرة :

- ولكن (نوال) نفسها لم تقع قط فى خطأ كهذا من قبل .

قال (أدهم) :

- لدى تفسير منطقى لهذا .. إن السبب فى عدم وقوع (نوال) فى أى خطأ فى السابق ، هو أنها كانت تتبع دائما تعليمات (البارون) .. أما فى هذه المرة ، وبعد خلو الساحة من الوسيط المباشر (حسين شدّاد) ، فقد قرّرت هى القيام بدور فعّال ، دون استشارة (البارون) ، وهذا ما أوقعها فى الخطأ .

قال (كمال) فى اهتمام :

- تفسير منطقى ، ولكنه يضعنا أمام سؤال أكثر أهمية وخطورة .

رفع (أدهم) عينيه إليه فى تساؤل ، فأضاف :

- فى ظل التحريات والمراقبة .. كيف كانت (نوال) تجرى اتصالاتها بـ (البارون) طوال الوقت ؟

لم يجب (أدهم) ، ولكن السؤال وجد طريقه إلى عقله ، الذى أيقن

على الفور من أن وسيلة الاتصال ، بين (نوال) و (البارون) ، ستكون حتمًا وسيلة جديدة ، ومبتكرة ..

مبتكرة للغاية ..

* * *

« أما زلت تهوين العبث بهذا الكمبيوتر ؟ .. »

نطق (سليم حسّان) هذه العبارة ، فى لهجة تجمع ما بين المرح والسخرية ، فعقدت زوجته (نوال) حاجبيها فى ضيق ، وهى تقول :

- الكمبيوتر ليس عبثًا .. إنه لغة العصر ، ومن يجهلها كمن يجهل القراءة والكتابة ، و ...

قاطعها ضاحكًا :

- حسن .. حسن .. أنا أحفظ هذه المحاضرة عن ظهر قلب ، ولا داعى لتكرارها على مسامعى .

ثم ارتدى سترته ، مستطردًا :

- سأذهب إلى الشركة .. هل تلحقين بى ، أم تواصلين لهوك هنا ؟

زفرت فى توتر ، وأجابت :

- بل سأبقى لدراسة بعض البرامج الجديدة ، ولدى موعد فى جمعية (رعاية الطفل) ، فى الثامنة مساءً .

قال وهو يلوّح بيده منصرفًا :

- لا بأس .. سأعود فى العاشرة مساء بإذن الله .. إلى اللقاء ..

تابعته ببصرها وهو ينصرف ، ثم مطّت شفتيها مغمغمة :

- غبى .

وأسرعت توصل جهاز الكمبيوتر بأداة خاصة ، تتيح لبرنامجه الانتقال عبر أسلاك الهاتف ، وضغطت أزراره فى تتابع ، وهى تراقب شاشته ، التى تراصت فوقها رسالتها :

ـ الشخص الذى تسبَّب فى مصرع (حسين شدَّاد) يرغب فى احتلال مكانه ، وعقد صفقاته ، ويقول أن لديه عميلًا تركيًا من الطراز الأوَّل ، يحمل صفقة ممتازة ، وكان يتصوَّر أن (سليم) هو (البارون) ، ولكننى فاجأته ، وأقنعته بإننى أنا (البارون) ، وحصلت على موعد لمقابلة ذلك التاجر التركى ، فى الثامنة من مساء اليوم .

انتهت من كتابة رسالتها ، وضغطت زر إرسالها ، ثم جلست تنتظر الرد فى لهفة ، وهى تراقب شاشة الكمبيوتر ..

ثم أتى الرد ، بعد خمس دقائق كاملة ، يقول :

ـ لقد تصرَّفت بسرعة غير مناسبة ، ودون حذر كاف .. ثم من هو هذا التاجر التركى ، الذى يتعامل مع سوانا ؟

ابتسمت فى ارتياح ، على الرغم من العتاب الموجَّه إليها ، وأسرعت تكتب على الشاشة :

ـ رجل بدين ، يتحدَّث الانجليزية بركاكة ، ويحمل اسم (عفَّت كاظم) .

انتظرت دقيقة كاملة ، حتى ظهر الرد على شاشة الكمبيوتر :

ـ لم أسمع باسمه من قبل .. وهذا يضاعف من شكوكى .

أسرعت تكتب الرد :

ـ ولكن (سليم) أجرى تحرياته حول ذلك الرجل ، الذى تسبَّب فى

مصرع (حسين شدَّاد) ، ولم يجد ما يدينه .. إنَّه بالفعل رجل أعمال ، ولا صلة له بالشرطة .

أرسلت الرد ، وأشعلت سيجارتها ، وجلست تنتظر ، حتى أتاها الجواب :

ـ تحريات زوجك تتم بشكل ودى ، لا يمكن الاعتماد عليه ، فى مثل عملنا .. أرسلى بيانات الرجل ، وسنجرى تحرياتنا الخاصة عنه .

اعتدلت وهى تنفث دخان سيجارتها ، وكتبت :

ـ الرجل اسمه (أدهم صبرى) ، وهو رجل أعمال ، ويقيم فى حى (مدينة المهندسين) ، فى شارع ..

كتبت كل ما لديها من بيانات ، عن (أدهم) ، ثم ضغطت زر الإرسال ، واسترخت فى مقعدها ، تنتظر الرد ..

ولكن الرد لم يستغرق لحظةً واحدةً هذه المرة ..

لقد خُيِّل إليها أنها لم تكد ترسل الرسالة ، حتى قفز الرد إلى شاشة الكمبيوتر مباشرة ، وهو يقول :

ـ أوقفى كل تعاملاتك ، واتصالاتك على الفور ، وتخلَّصى من كل ورقة يمكنها أن تدينك ، وحاولى مغادرة (مصر) بأقصى سرعة ، وبأية حجة كانت .

ارتجفت فى توتر ، وقد بدا لها الجواب مشوبًا بالذعر والتوتر ، فانكبَّت على أزرار الكمبيوتر ، ترسل رسالة مضطربة ، تقول :

ـ لماذا كل هذا ؟.. هل (أدهم صبرى) هذا هو أحد مرشدى الشرطة ؟

أتاها الجواب بنفس السرعة المتوترة :

ـ ليت الأمر اقتصر على هذا ، ولكن (أدهم صبرى) هذا هو رجل مخابرات .. بل هو أخطر رجل مخابرات فى العالم .

وفى هذه المرة لم يرتجف جسدها ..

لقد انتفض فى عنف ، وانتفض معه كل ما يحيط بها .. حتى الكمبيوتر .

* * *



٧ ـ أجـراس الخطـر ..

تطلّع (قدرى) إلى ساعته ، وقال فى ضجر ملحوظ ، وهو يستخدم لغته الإنجليزية الركيكة ، فى بهو فندق (ميناهاوس) :

ـ الساعة الآن الثامنة وعشر دقائق .. لست أحب أصحاب المواعيد غير المنضبطة .

قال (أدهم) فى هدوء :

ـ المهم أن تجيد أداء دورك ، فأنت تاجر مخدرات تركى ، تتعامل لأوّل مرة مع دول الشرق الأوسط ، بعد تاريخ حافل فى التعامل الأوربى والآسيوى ، وستبدى الكثير من الشك ، حول إمكانيات التعامل والتمويل وخلافه .

لوّح (قدرى) بكفه ، وهو يقول :

ـ رويدك يا صديقى .. لقد حفظت الدور عن ظهر قلب ، و ...

توقّف عن الاستطراد دفعة واحدة ، عندما جلس أحد السائحين الشبّان على المقعد المجاور لأريكتهما ، وراح يلتقط بعض الصور ، من آلتى تصوير حديثتين ، لبهو الفندق ولوحاته ، فابتسم (أدهم) ، وقال :

ـ فلنأمل أن تجيد التنفيذ .

غمز (قدرى) بعينه ، وابتسم فى جذل ، ثم عاد يلقى نظرة على ساعة يده ، قائلًا :

ـ الثامنة واثنتى عشرة دقيقة .

أومأ (أدهم) برأسه متفهمًا ، ولاذ بالصمت التام ، فى حين واصل السائح التقاط الصور لحظات ، ثم نهض منصرفًا ، فتنهَّد (قدرى) ، وقال :

ـ عجبًا !.. ألم يجد فى البهو كله سوى المقعد المجاور لنا .. كدت أنفجر من الغيظ .

ابتسم (أدهم) فى هدوء ، وتابع السائح وهو يبتعد ، حاملًا آلة التصوير ، ويتجه إلى مدخل البهو فى خطوات سريعة ، و ...

وفجأة ، هبّ (أدهم) من مقعده ، وصاح :

ـ يا إلهى !.. آلة التصوير الأخرى .. ابتعد يا (قدرى) .. ستنفجر قنبلة هنا .

لم يكد يطلق هذا الهتاف ، حتى سرت موجة من الذعر فى المكان ، فى حين تحوَّلت خطوات السائح السريعة إلى الركض ، فوثب (أدهم) عبر مقعد قريب ، وانطلق يعدو نحو السائح ، وهو يهتف :

ـ اخلوا المكان جميعًا .. ستنفجر قنبلة هنا .. وأوقفوا ذلك الرجل ، قبل أن يغادر المكان .

حاول رجال أمن الفندق اعتراض طريق السائح ، ولكنه ألقى آلة التصوير ، وانتزع من ثيابه مسدسًا ، أطلق منه النار نحو رجال الأمن ، فانطلقت صرخات عديدة ، وتضاعف الهرج والمرج فى المكان ، واختلط الحابل بالنابل ، وتخبَّط الجميع بعضهم بالبعض ، وأصبح (أدهم) يشقّ طريقه فى صعوبة بالغة ..

ثم دوى الانفجار ..

انفجار مكتوم ، نسف الأريكة ، التى كان يجلس عليها (أدهم) و (قدرى) منذ لحظات ، وأطاح بشظاياها فى المكان كله ، فأصابت العديدين ، ومنهم (قدرى) ، الذى شعر بألم فى كتفه الأيسر ، ولكنه هتف :

ـ الحق يا (أدهم) .. الحق به يا صديقى ..

كان ذلك القاتل قد غادر البهو بالفعل ، وقفز فى سيارته ، وانطلق بها وهو يطلق النار على رجل أمن آخر ، فهتف (أدهم) ، وهو يزيح الناس عن طريقه فى صعوبة :

ـ إننى أبذل قصارى جهدى .

ثم وثب فجأة ، فوق أريكة مرنة ، ومنها إلى إعلان يتدلى من سقف الفندق ، ثم عبر فوق رءوس الجميع بقفزة رائعة ، أوصلته إلى مدخل الفندق ..

وأمام عينيه ، رأى القاتل يبتعد بسيارته ..

ودون تردد ، أزاح (أدهم) أحد رجال الفندق ، من فوق درَّاجة بخارية ، وهو يهتف :

ـ معذرة يا رجل .. إنها حالة طوارئ .

قفز فوق الدرَّاجة البخارية ، وانطلق بها خلف سيارة القاتل ، التى انطلقت فى الطريق بأقصى سرعة ، متجاهلة قواعد المرور ، وحياة المارة ، وأية عوامل أخرى ..

وأطلق (أدهم) لدرَّاجته البخارية العنان بدوره ..

كان وجوده فوق درَّاجة بخارية يمنحه مزايا عديدة ، فى مثل هذه

الطرقات ؛ إذ إنه كان ينطلق بين السيارات والمارة ، فى سهولة تفوق عشرات المرات ، ما يمكن أن يواجهه راكب سيارة ..

ولكن ذلك القاتل لم يكن بالرجل ، الذى توقفه أيةَ عقبات .. مهما كانت ..

لقد تجاوز منطقة المارة ، وأصاب مقدّمة سيارة تعترضه ، ثم بلغ سرعته القصوى ، فى طريقه إلى الهرم ..

وانطلقت درّاجة (أدهم) البخارية خلفه ..

ورأى القاتل الدرّاجة البخارية ، فى مرآة سيارته الداخلية ، فانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول فى عصبية :

ـ هذا الرجل عنيد للغاية .

وأدار يده بمسدسه ، إلى زجاج السيارة الخلفى ، وأطلق النار ..

وحطّمت الرصاصات زجاج السيارة الخلفى ، وانطلقت نحو الدرّاجة البخارية ، التى انحرف بها (أدهم) فى مهارة ثم مال إلى اليسار ، وضاعف من سرعته ، وأخرج مسدسه بدوره ، وهو يقول :

ـ فليكن يا رجل .. مادمت تريدها مسابقةً فى الرماية .

أطلق رصاصتين من مسدسه ، أصابت إحداهما مرآة السيارة الداخلية ، وأصابت الأخرى عجلة القيادة ، فصاح القاتل فى حدة :

ـ إذن فأنت أيضًا تحمل مسدسًا .

واستدار ليطلق النار مرة أخرى ، عبر الزجاج الخلفى المكسور لسيارته ، نحو (أدهم) ، إلا أن هذا الأخير كان الأسبق ، فأطلق رصاصة ثالثة ، أصابت مسدس القاتل مباشرة ، وأطاحت به فى

عنف ، فارتطم بالزجاج الأمامى من الداخل ، وارتدّ إلى وجه القاتل ، الذى صرخ :

ـ اللعنةَ !

لم يكد ينطقها ، حتى اتسعت عيناه فى ذعر ، عندما رأى نفسه يتّجه مباشرة نحو قائم حجرى ، ولكنه أمسك عجلة القيادة فى سرعة ، وأدارها فى مهارة ، فتفادى الاصطدام فى اللحظة الأخيرة ، وانحرف جانبًا بغتة ..

وهكذا وجد (أدهم) القائم الحجرى أمامه فجأة ..

وفى مهارة مدهشة ، وحنكة بلا حدود ، وقوة أعصاب مذهلة ، اتجه (أدهم) نحو القائم الحجرى ، وجذب دراجته البخارية إلى أعلى ، و ..

وكانت وثبة مدهشة ..

وثبة وثبتها درّاجة (أدهم) ، لتعبر القائم الحجرى ، وتطير لمسافة طويلة كغزال شارد ، ينطلق فوق رمال صحراء شاسعة ، فى نفس الوقت الذى صوّب فيه (أدهم) سيّارة القاتل ، وأطلق النار ..

ومن موقعه هذا ، فى سماء المعركة ، وقبل أن تهبط درّاجته البخارية ، أصاب (أدهم) إطار سيّارة القاتل بدقة مدهشة ..

وانفجر الإطار ..

وصرخ القاتل ذاهلاً :

ـ يا للشيطان !

وفقد السيطرة على سيارته ، بهذه السرعة التى ينطلق بها ،

فانحرفت السيارة فى عنف ، وارتطمت ببعض الأحجار ، ثم قفزت عاليًا ..

وفى نفس اللحظة ، التى هبطت فيها درَّاجة (أدهم) أرضًا ، وسيطر عليها هذا الأخير فى مهارة ، كانت سيارة القاتل تثب فى الهواء ، وتواجه مصيرًا مخيفًا ..

ثم هوت السيارة ، وارتطمت بالأرض ، وانقلبت فى عنف ، وتدحرجت فوق الرمال فى قوة ..

وانفجرت ..

ومن موقعه ، رأى (أدهم) جسد القاتل يقفز خارج السيارة ، والنيران تشتعل به ، ثم يسقط فوق الرمال ، وهو يطلق صرخات هائلة ، ثم يهمد جسده تمامًا ..

وأدرك (أدهم) أن القتال قد دخل مرحلة جديدة .. وخطيرة ..

★ ★ ★

تأوَّه (قدرى) فى ألم ، والطبيب يحيط جرحه بالضمادات ، فربّت (أدهم) على كتفه الآخر مشجّعًا ، وهو يقول :

ـ تماسك يا صديقى .. إنه جرح بسيط والحمد لله .

أومأ (قدرى) برأسه ، والعرق يتصبَّب على جبينه ، وقال :

ـ حمدًا لله .. كان يمكن أن يحدث ما هو أسوأ .

ثم سأل (أدهم) فى قلق :

ـ ولكن ألا يعنى هذا أنهم قد كشفوا أمرنا ؟



وثبة وثبتها درَّاجة (أدهم)، لتعبر القائم الحجرى، وتطير لمسافة طويلة كغزال شارد ..

أجابه (أدهم) :

- بلى .. وقرَّروا التخلُّص منا أيضًا .

تنهَّد (كمال) ، وقال :

- فى رأيى : هذا يثبت أن (نوال رمزى) هى (البارون) .

هزَّ (أدهم) رأسه نفيًا ، وقال :

- بل يثبت أن (البارون) الأصلى يعرف من أنا .

سأله (قدرى) فى قلق :

- ماذا تعنى ؟!

بدت علامات التفكير العميق على وجه (أدهم) ، وهو يغمغم :

- أعنى الكثير .

لم يزد حرفًا واحدًا ، فتبادل (قدرى) و (كمال) نظرة حائرة ، قبل أن يشدّ (كمال) قامته ، ويقول :

- على أية حال ، إنها فرصة ذهبية لنا ، للإيقاع بـ (نوال رمزى) .. كل ما عليك هو أن تتهمها بتدبير قتلك ، وسنستدعيها رسميًا ، ونحاصرها بالأسئلة والاستجوابات ، حتى نجبرها على الاعتراف بشخصية (البارون) ، و ...

قاطعه (أدهم) :

- هراء .

تطلَّع إليه (كمال) فى دهشة ، فأكمل فى حزم :

- أمثال (نوال رمزى) تجد خلفهم ـ عادة ـ جيشًا من المحامين والوسطاء ، ورجال القانون ، وسيهرع هذا الجيش إليها ، فور

استدعائكم لها ، ولن يتمكَّن أحدكم من رفع سبَّابة واحدة فى وجهها ، دون مجلَّد من الأدلة والبراهين ، بل وربَّما ربحت ضدكم قضية تعويض وتشهير .

قال (كمال) فى حدة :

- إذن فأنت تقترح أن نلوذ بالصمت ، ونتركها تمرح بمخدراتها وسمومها ، وسط شبابنا ورجالنا .

قال (أدهم) فى صرامة :

- أنا لم أقل هذا .

ثم التقى حاجباه ، وهو يستطرد :

- ولكن أمثال (نوال رمزى) يحتاجون إلى وسائل مختلفة للتعامل .

واكتسى صوته بحزم مخيف ، وهو يضيف :

- وسائل خاصة .

وشعر (قدرى) بالقلق ..

★ ★ ★

انتهت (نوال) من إعداد حقيبتها ، ووضع زينتها ، ثم خطَّت رسالة عاجلة إلى زوجها ، تبلغه فيها باضطرارها للسفر العاجل إلى (أوربا) ، ووضعتها داخل مظروف ، أغلقته فى إحكام ، ووضعته فوق مكتب زوجها ، وابتسمت فى سخرية ، وهى تقول :

- مسكين (سليم) ، سيصيبه هذا الخطاب بصدمة عنيفة ، ولكن ماذا أفعل ؟.. الظروف تحتِّم هذا.

طبعت قبلة على أطراف أصابعها ، ولوّحت بيدها نحو المكتب ، قائلة :

- الوداع يا حبيبى (سليم) .. لست أظننا نلتقى مرة أخرى .

حملت حقيبتها ، واستدارت لتنصرف ، ولكن جسدها انتفض فى عنف ، واتسعت عيناها فى رعب ، وكادت تطلق صرخة رعب هائلة ، لولا أن كتمت يد قاسية صرختها ، وسمعت صوتًا خشنًا غليظًا ، يقول :

- اصمتى .

راح جسدها يرتجف فى هلع ، وهى تتطلّع إلى الرجل الواقف أمامها ، والذى لم يكن - فى رأيها - أكثر من مجرّد شبح ، وغمغمت فى ارتياع :

- (حسين) .. أأنت حى ؟

كان الواقف أمامها هو (حسين شدّاد) بشحمه ولحمه ، وهو يقول :

- نعم .. أنا حىّ .. إننى لم ألق مصرعى ليلتها ، ولكن عنقى التوى بشدة .

لاحظت لأوّل مرة تلك الدعامة ، التى تحيط بعنقه ، وهو يستطرد فى توتر :

- ولكننى وجدت الفرصة سانحة ، للإفلات من ذلك الشيطان ، الذى يطاردنى فى إصرار ، وأحضر رجالى بسرعة جثة لرجل له نفس مقاييسى ، وشوّهوا وجهه ، ثم أخبروا الشرطة أنها جثتى أنا ، وهكذا أصبحت ميتًا فى الأوراق الرسمية .

ظلّت تتطلّع إليه لحظات فى دهشة ، ثم قالت :

- ولماذا لم تتصل بى مباشرة ؟

مطّ شفتيه ، وقال :

- كنت أنتظر الوقت المناسب .

ثم عقد حاجبيه ، مستطردًا :

- وأدرس الأمر جيّدًا .

سألته فى عصبية :

- أى أمر ؟

بدا شديد الصرامة ، وهو يتطلّع إلى عينيها مباشرة ، قائلًا :

- أريد مقابلة (البارون) .

اتسعت عيناها لحظة فى دهشة ، ثم أشاحت بوجهها فى حدة ، والتقطت سيجارة من حقيبتها فى عصبية ، وهى تقول :

- ماذا دهاك يا رجل ؟.. هل أصابك الجنون ؟.. أنت تعرف جيّدًا أننى (البارون) .

زمجر (حسين) فى غضب ، وهو يقول :

- كلّا .. ليس هذا ما أعرفه .

أشعلت سيجارتها فى توتر شديد ، وهى تقول :

- يبدو أن السقوط أصاب عقلك بتلف شديد .

قال فى حدة :

- بل السكوت هو الذى جعلك تتصورينى أبله أو ساذجًا .. لا يا سيّدة المجتمعات .. إننا واثق من إنك لست (البارون) .. إنك

مجرّد وسيط فوق العادة ، بيننا وبين هذا الزعيم الخفى ، ولكن المعلومات التى لدى الآن ، تحتاج حتمًا إلى مقابلة عاجلة مع (البارون) شخصيًا .

سألته فى عصبية :

ـ أية معلومات ؟

أجابها فى عصبية :

ـ معلومات بالغة الخطورة ، عن ذلك الرجل ، الذى طاردنى طويلًا .

نفثت دخان سيجارتها فى توتر ، وهى تقول :

ـ هل تقصد انتماءه إلى المخابرات العامة ؟!

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول :

ـ كيف عرفت هذا ؟

أجابته فى عصبية :

ـ لدى مصادرى .

قال فى صرامة :

ـ (البارون) .. أليس كذلك ؟!

لوّحت بيدها ، هاتفة :

ـ ليس هذا من شأنك .

ولكنه أمسك معصمها بغتة فى قوة ، وقال فى شراسة :

ـ اسمعى يا سيّدة المجتمعات .. أنا أعلم أنك لست (البارون) ، وستخبريننى الآن من هو (البارون) .. هل تفهمين ؟

جذبت يدها من معصمه فى عنف ، وهى تقول :

ـ لن أخبرك بشىء .. احتفظ بمعلوماتك الخطيرة هذه لنفسك ، فذلك الرجل الذى أثار رعبك إلى هذا الحد ، ليس بالرجل العادى .. إنه ضابط مخابرات مصرى ، و (البارون) يهتمّ شخصيًا به ، ومادام الأمر كذلك ، فثق أن ذلك الرجل يرقد فى قبره الآن .

ابتسم (حسين) فى سخرية ، وقال :

ـ حقًا ؟!

وفى هدوء ، مدّ يده إلى دعامة عنقه ، فانتزعها فى قوة ، وألقاها جانبا ، ثم جذب عن وجهه قناعا مطاطيًا رقيقًا ، وهو يستطرد :

ـ من أنا إذن ؟

ارتجف جسدها مرة أخرى ، واتسعت عيناها فى هلع ، وهى تحدّق فى وجه (أدهم صبرى) ، الذى اقترب منها فى هدوء ، وهو يتطلّع إلى عينيها ، قائلًا :

ـ والآن ستجيبى أسئلتى يا سيّدتى .. من هو (البارون) ؟

تراجعت فى هلع شديد ، حتى التصقت بالنافذة الزجاجية ، وهى تردّد :

ـ مستحيل !.. مستحيل !

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ـ لماذا مستحيل !.. لقد انكشفت الأمور كلها ، ولم يعد بإمكانك الفرار يا سيّدة (نوال) ، والحديث الذى دار بيننا الآن مسجّل بالكامل ، بإذن من النيابة ، وهذا يعنى أنك سقطت ، والأمل الوحيد فى تخفيف الحكم عنك هو الاعتراف ، وإبلاغنا من هو (البارون) .

اغرورقت عيناها بالدموع ، وهى تقول :

ـ لا .. لا يمكننى هذا .. سيقتلنى لو فعلت .

قال (أدهم) فى صرامة :

ـ وهل تصوَّرت أن (البارون) سيتركك تهربين ، بعد أن انكشف أمره ؟.. لو أنك تصوُّرت هذا فأنت واهمة .. إنك المخلوق الوحيد ، الذى يعرف حقيقة (البارون) ، وهو يعلم أن أمرك قد انكشف الآن ، مما يعنى أنك صرت مصدر خطر رئيسى بالنسبة إليه ، ولا يمكنه المخاطرة بتركك على قيد الحياة .

زاغت عيناها فى هلع ، وهى تقول :

ـ لا .. أنت تحاول خداعى .. إنه سيساعدنى على الفرار ، وسيضع مبلغًا ضخمًا باسمى ، فى أحد بنوك سويسرا ، و ...

بترت عبارتها بغتة ، مع صوت مكتوم ، ظهرت بعده شروخ طويلة فى زجاج النافذة خلفها ، وجحظت عيناها فى رعب وألم ، ثم ظهرت بقعة من الدم على عنقها ، قبل أن تهوى فجأة ، تحت قدمى (أدهم) ، الذى انحنى بدوره فى سرعة ، ورأى الزجاج يتهشم ، مع صوت رصاصة ترتطم بالحائط خلفه ..

وزحف (أدهم) بسرعة نحو (نوال) ، التى راحت تطلق شهقات مكتومة ، وترفع يدها المرتجفة نحوه ، وغمغم :

ـ تماسكى .. سأتصل بالإسعاف فورًا ، و ...

قاطعته بحروف مرتعشة :

ـ الـ .. السفارة الإسرائيلية .. د .. ديفا .. ديفا ما ...

ثم سقطت يدها إلى جوارها ، وجمدت عيناها ، ولفظت أنفاسها الأخيرة ..

لفظتها بعد أن أرشدته إلى أعظم سرّ كانت تحتفظ به .. سرّ (البارون) .

★ ★ ★



٨ ـ الجبهـة الثـانية ..

انعقد حاجبا (منى) فى شدة ، وهى تحدّق فى وجه (قدرى) ، قبل أن تهتف فى دهشة واستنكار :

ـ مستحيل !.. هل تقصد أن (البارون) كان إسرائيليًا ؟!

أجابها (قدرى) :

ـ بالطبع .. ما المستحيل فى هذا ؟!.. إنه أحد الأساليب الإسرائيلية المعروفة ، لتحطيم الدول المحيطة بها .. أن تغرقها بالمخدرات .. إنه مخطّط طويل المدى ، يبدأ بتدمير عقول شباب ورجال أية دولة ، عبر سيل من المخدرات والسموم ، بمختلف أنواعها ، وينتهى بإحكام السيطرة على هذه الدولة ، بعد انهيار اقتصادها ، وانخفاض انتاجها ، كنتيجة حتمية لغياب عقول وعزائم أهلها .

غمغمت فى امتعاض :

ـ يا للحقارة !

قال (قدرى) :

ـ بل قولى يا للرتابة !.. لقد استخدمت (إسرائيل) معنا الخطة نفسها ، قبيل حرب الخامس من يونيو ، عام ألف وتسعمائة وسبعة وستين ، وكان مهربو المخدرات ، الذين يغرقون بلادنا بسمومهم ، من ضباط جيش الدفاع الإسرائيلى ، الذين يستخدمون طائرات الهليوكوبتر الإسرائيلية لنقل المخدرات عبر الحدود ، كجزء من خطة منظمة ، أدت فى النهاية إلى هزيمتنا(★) ، أو كانت أحد أسباب الهزيمة .

(★) ورد ذكر هذا ، فى بعض الكتب ، التى تحدثت عن نكسة يونيو .

اعتدلت (منى) ، وهى تسأله فى اهتمام :

ـ وماذا فعل (أدهم) ، إزاء هذا الاعتراف الخطير ؟.. أراهن أنه هرع من فوره إلى السفارة الإسرائيلية .

ضحك (قدرى) ، وقال :

ـ ليفعل هذا ، كان لابد له من مغادرة منزل (سليم حسّان) أوّلا .

سألته فى دهشة :

ـ ولماذا لم يفعل ؟.. هل وصل (سليم) ؟

هزّ رأسه نفيًا ، وقال :

ـ بل كانت هناك عقبة أخرى .. عقبة أشدّ خطورة .

سألته فى اهتمام وفضول :

ـ ما هى ؟

اعتدل وهو يقول :

ـ سأخبرك .

وأخبرها ..

★ ★ ★

كانت المفاجأة مدهشة ، بالنسبة لـ (أدهم) ، وأثارت غضبه وحنقه أكثر وأكثر ..

إذن فذلك (البارون) ، الذى تسبب فى مقتل (محمود) ، إسرائيلى ..

كان ينبغى أن يتوقّع هذا ..

لقد شعر (محمود) بذلك ، ولهذا طلب رؤيته بالذات ..

أو أنه أمسك بطرف خيط ، قبيل مصرعه ..

وربّما كان طرف الخيط هذا ، هو السبب فى مصرعه ..

ربّما ..

وفى حذر ، رفع (أدهم) رأسه ، لينظر عبر النافذة ..

وانطلقت رصاصة أخرى ..

رصاصة مرقت على قيد مليمترات من أذنه ، فعاد يخفض رأسه بسرعة ، ويدرس الموقف جيدًا ..

كان البناء الوحيد ، الذى يمكن منه إصابة (نوال) .. بهذه الدقة ، هو مبنى تحت الإنشاء ، يواجه نافذة حجرة مكتب (سليم حسّان) تمامًا ..

ولو اتخذ القنّاص موقعًا جيّدًا ، فهذا يعنى أنه سيرى جيدًا المسافة كلها ، من النافذة وحتى باب الحجرة ..

ولكن الحجرة مظلمة ، ولم يشعل (أدهم) ضوءها عند حضوره ، وتحدث طوال الوقت مع (نوال) ، مكتفيًا بضوء القمر ، الذى يتسلّل عبر النافذة ..

وهذا يعنى أن ذلك القنّاص محترف أكثر مما ينبغى ..

إنه يرتدى منظارًا خاصًا ، للرؤية فى الظلام ..

منظارًا للأشعة دون الحمراء ..

إذن فهو سجين داخل الحجرة ، لا يمكنه مغادرة ذلك الركن ، الذى يختبئ فيه ، وإلا أصابته رصاصة من ذلك القنّاص على الفور ..

ولكن هذا لم يقلقه ، أو يثير أدنى خوف لديه ..

كل ما أثاره هو تفكيره العميق ..

ثم زحف (أدهم) فى حذر ، نحو مكتب (سليم) ، وراح يعبث بأدراجه ، حتى عثر على آلة تصوير بسيطة ، فابتسم مغمغمًا :

- رائع .. سلاح مناسب .

ظلّ صامتًا ساكنًا لحظات ، ثم قلب مكتب (سليم) ، ودفعه نحو النافذة ..

وعبرت رصاصتان النافذة ، وأصابتا المكتب ، فهوى مرة أخرى إلى موضعه ..

ولكن ما بين ارتفاع المكتب وانخفاضه ، حدث الكثير ..

لقد اندفع (أدهم) يعدو نحو الباب ، وعبره بقفزة واحدة ، ثم اختفى ملتصقًا بالجدار الخارجى له ..

ولم يدرك القنّاص ما حدث ..

أو هو لم يتصوّر أن شخصًا ما ، فى الدنيا كلها ، يمكن أن يعدو ويجرى بهذه السرعة ، فلم يستغرق ارتفاع المكتب وانخفاضه أكثر من لحظة واحدة ..

وظلّ القنّاص متأهبًا ، ينتظر ظهور (أدهم) ..

ولكن فى هذه اللحظة ، كان (أدهم) قد غادر شقة (سليم) ، والبناية كلها ، وانطلق يعدو نحو البناية المقابلة ..

ومن موقعه ، شعر القنّاص أن شيئًا ما يحدث فى البناية ..

ثم انتبه إلى هذا الشىء ..

كان مصعد البناء يرتفع نحو الطابق الذى يختبئ فيه ..

وانعقد حاجبا القنّاص ، وهو يغمغم :

ـ هل من الممكن أن ..

لم تكن طبيعة مهنته تحتمل مجرّد الشك ، لذا فقد تحرّك فى سرعة ، وتطلّع بمنظاره المخصّص للرؤية الليلية ، إلى المصعد الذى يرتفع فى بطء ، وتمتم :

ـ لا مجال للمخاطرة .

وصوّب فوهة بندقيته إلى سقف المصعد ..

وضغط الزناد ..

وانطلقت رصاصات بندقيته ، تخترق سقف المصعد ، وتنفذ من قاعه ، دون أن يصدر عنها سوى صوت مكتوم ..

وابتسم القنّاص فى سخرية ..

إنه واثق من أن بندقيته المزوّدة بكاتم للصوت ، قد أدّت واجبها على أكمل وجه ..

لقد اخترقت رصاصاتها سقف المصعد ، فى كل موضع ممكن ..

ومن المستحيل أن يبقى أى شخص على قيد الحياة داخله ..

ولم تمض نصف الدقيقة ، حتى بلغ المصعد موضعه ، ففتح بابه فى حذر ، والتقى حاجباه فى شدة ، وهو يتطلّع داخله ..

كان المصعد خاليًا تمامًا ، إلا من الثقوب التى صنعتها بندقيته ..

وفى توتر ، غمغم القنّاص :

ـ عجبًا !.. كيف صعد المصعد وحده إذن ؟

سرت فى جسده قشعريرة باردة ، عندما سمع صوتًا من خلفه ، يقول فى سخرية :

ـ إنه لم يصعد وحده بالتأكيد ..

ولكن هذا القنّاص كان محترفًا ..

بل أكثر من محترف ..

لقد ابتلع المفاجأة ، فى جزء من الثانية ، واستدار فى سرعة مدهشة ، ليواجه (أدهم) ، وأدار نحوه فوهة بندقيته ..

وفى جزء آخر من الثانية ، رأى القنّاص (أدهم) فى وضوح ، عبر منظاره المجهّز للرؤية الليلية ، وأدهشه أنه لم يكن يحمل سلاحًا ، ولكن حتى هذه الدهشة التهمها فى سرعة ، و ..

وضغط زناد بندقيته ..

★ ★ ★

أشعل (ديفا مازيل) ، أحد موظفى السفارة الإسرائيلية فى (القاهرة) ، سيجارته فى توتر واضح ، وهو يقول للملحق العسكرى للسفارة :

ـ لست أدرى كيف ولماذا دس (أدهم صبرى) أنفه فى عملنا هذه المرة ؟!.. إنها قضية مخدرات ، من اختصاص رجال الشرطة ، وإدارة مكافحة المخدرات ، فكيف اقتحمها رجل مخابرات مثله ؟!

عقد الملحق العسكرى حاجبيه ، وقال :

ـ أنت المسئول عن هذا .

هتف (ديفا) فى دهشة :

ـ أنا ؟!

أجابه الملحق العسكرى فى غضب :

ـ نعم .. أنت .. كان ينبغى أن تكون أكثر سيطرة على شبكتك .. صحيح أنك ظللت بعيدًا عن دائرة الضوء لسنوات ، متخفيًا تحت اسم (البارون) ، ولكنك لم تحكم قبضتك على الجميع ، حتى أن (حسين شدَّاد) ورجاله لم يتصرَّفوا بالحكمة الكافية ، عندما كشفوا وجود رجل شرطة بينهم .. كان ينبغى أن يتصلوا بـ (نوال) مباشرة ، ويسألونها المشورة ، لا أن يأسروه ، ويسرفوا فى تعذيبه ، ثم يطلقون النار عليه ، ويلقونه دون التيقن من مصرعه .. كومة من الأخطاء ، ارتكبوها بسبب عدم سيطرتك عليهم بشكل كاف .

بدا التوتر على وجه (ديفا) ، وهو ينفث دخان سيجارته ، قائلا :

ـ لقد بذلت قصارى جهدى للسيطرة عليهم . ولكن المشكلة الرئيسية هى أن (نوال رمزى) كانت همزة الوصل ، بينى وبينهم ، وأنت تدرك صعوبة السيطرة على النساء ، فى عمل مثل هذا .

أشار إليه الملحق العسكرى فى حدة . قائلا :

ـ أنت الذى كان ينبغى أن ينتبه إلى هذا .

قال (ديفا) فى حدة :

ـ لقد أصدرت أوامرى بقتلها ، فقد انكشف أمرها ، وصار وجودها يمثل خطرًا بالغًا .

قال الملحق العسكرى :

ـ بعد فوات الأوان .

ثم اعتدل ، وأشعل سيجارته بدوره ، وهو يقول :

ـ لو أردت رأيى ، فأنا أقترح عليك الحصول على إجازة .

ارتجف جسد (ديفا) ، وهو يقول :

ـ هل تعنى أن ...

قاطعه الملحق العسكرى فى صرامة :

ـ لست أعنى شيئًا .. كل ما أعنيه هو أن تبتعد قليلا ، حتى نرى ما ستسفر عنه الأمور ، ثم تعود بعد فترة من الوقت .

قال (ديفا) فى توتر :

ـ هل تقترح عودتى إلى (إسرائيل) ؟

هزَّ الرجل رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كلَّا .. عودتك إلى (إسرائيل) قد تدينك ، لو توصَّل (أدهم صبرى) إلى شىء ما ، حول كونك (البارون) ، الذى يقلق رجال الشرطة هنا منذ زمن .. الأفضل أن تقضى إجازتك فى مكان بعيد ، ولكن داخل (مصر) .

قال (ديفا) ، وقلقه يتضاعف :

ـ أين تقترح هذا ؟

صمت الملحق العسكرى لحظات مفكرًا ، ثم قال فى حزم :

ـ (فايد) .

سأله فى دهشة :

ـ ولماذا مصيف (فايد) بالذات ؟

أجابه فى هدوء :

ـ إنه أحد الأماكن الطبيعية لقضاء الإجازة ، فى هذا الوقت من العام ، ثم إنه يطلّ مباشرة على قناة السويس ، وموقعه يتيح لك

سرعة الفرار إلى (طابا) ، لو تعقَّدت الأمور ، ومن هناك سنلتقطك ، ونعيدك إلى (إسرائيل) .

رأى القلق يرتسم على وجه (ديفا) ، فاستدرك بسرعة :

ـ ستكون هناك فرقة خاصة لحمايتك هناك بالتأكيد .

عقد(ديفا) حاجبيه ، وقال فى توتر :

ـ الأمر يبدو بالنسبة لى شديد التعقيد .. لماذا لا أعود إلى (إسرائيل) مباشرة ، وينتهى الأمر .

أجابه الملحق العسكرى فى صرامة :

ـ نفذ الأوامر فحسب يا (ديفا) ، واترك لنا مهمة التخطيط .

زفر (ديفا) فى توتر ، وقال :

ـ فليكن .. سأرحل فى الصباح الباكر إلى (فايد) .

ونفث دخان سيجارته ، فى عصبية أكثر ..

★ ★ ★

لم يكن (أدهم) يحمل سلاحا بالفعل ، وهو يواجه ذلك القنّاص .. لقد اضطر لتسليم مسدسه إلى ضابط الشرطة (كمال) ، كجزء من الإجراءات الرسمية ، بعد مقتل قاتل الفندق ..

لم يكن يحمل سوى آلة التصوير الصغيرة ، التى أخذها من مكتب (سليم حسّان) ..

ولكنه كان يبتسم فى سخرية ..

وفى ثقة ..

وقبل ربع الثانية ، من ضغط القنّاص على زناد بندقيته ، ضغط (أدهم) زرّ آلة التصوير ، وهو يقول ساخرًا :

ـ ابتسم أيها الوغد .

وسطع مصباح التصوير فى وجه القنّاص ..

وتراجع الرجل فى عنف ، كما لو أنه قد تلقَّى لكمة قوية ، بين عينيه مباشرة ..

وطاشت رصاصته الصامتة فى الهواء ..

كان منظاره معدًا للرؤية الليلية ، حتى أنه لم يحتمل وهجًا مباغتًا كهذا ..

وفجأة ، شعر بقدمه تتجاوز حافة السطح ، مع ذلك التراجع العنيف المباغت ، ففقد توازنه ، وانطلقت من حلقه شهقة عنيفة ، و ... وسقط ..

كلّا .. التعبير الأدق هو أنه كان على وشك السقوط ..

لقد تحرّك (أدهم) من مكانه بسرعة مذهلة ، وهو يقول :

ـ لا .. ليس الآن يا رجل .. مازلت أريدك على قيد الحياة .

وبسرعة البرق ، امتدّت أصابعه الفولاذية ، لتحيط معصم الرجل ، وتمنعه من السقوط ..

وتعلّق جسد القنّاص فى الهواء ..

وهوت البندقية ذات المنظار ، من ارتفاع عشرة طوابق ، وتحطّمت فوق أكوام أحجار البناء فى أسفل ، فى حين قال (أدهم) للقنّاص فى سخرية :

ـ لا تبتئس هكذا يا رجل .. لقد نفّذت نصف مهمتك على الأقل .

انعقد حاجبا القنّاص فى غضب ، وهو يقول :

ـ لماذا أنقذتنى ؟

أبقاه (أدهم) متدليًا ، وهو يقبض على معصمه ، قائلًا :

ـ لأننى أحتاج إليك أيها الوغد .. ستكون دليل الإدانة الأول لمواطنك ، الذى يعمل فى السفارة الإسرائيلية .

بدا التوتر على وجه القنّاص ، وهو يقول :

ـ وهل تنتظر منى أن أفعل هذا ؟

هزّ (أدهم) كتفيه ، وقال :

ـ لك أن تختار يا رجل .. إما الاعتراف ، أو السقوط .

أطلق القنّاص ضحكة عصبية ، وهو يقول :

ـ إذن فأنت تجهل من أنا يا رجل .. إننى انتحارى .

فوجئ به (أدهم) ينتزع مسدسًا من جراب خفى حول ساقه ، ويرفعه نحوه ، قائلًا :

ـ والمعلومات لديك تجعلنى مضطرًا لقتلك ، حتى ولو كان هذا آخر ما أفعله ، فى حياتى كلها .

ولم يكن لدى (أدهم) خيار ..

إنه يمسك معصم الرجل ، ليمنعه من السقوط ، فى حين يصوّب إليه الرجل مسدسًا ، و ...

وأفلت (أدهم) معصم الرجل ، وتراجع بحركة سريعة ..

وانطلقت الرصاصة ..

وأخطأت (أدهم) ..

واتسعت عينا القنّاص فى ارتياع ، وجسده يهوى من ارتفاع عشرة طوابق ..

ولكن العجيب أنه لم يطلق صرخة واحدة ، حتى ارتطم جسده بالأرض ، وتحطّم إلى جوار بندقيته ..

ومن ارتفاع عشرة طوابق ، اعتدل (أدهم) واقفًا ، وقال فى صرامة :

ـ فليكن أيها الوغد .. أنت اخترت النهاية ، ولكن مصرعك لا يعنى الهزيمة .. لا يعنى هذا قط .

★ ★ ★

انهار (سليم حسّان) تمامًا ، إلى جوار جثة زوجته ، وانهمرت الدموع من عينيه غزيرة ، وهو يقول :

ـ ولكن لماذا ؟.. لماذا ؟.. كان يمكنهم أن يأخذوا ما يحلو لهم ، دون أن يقتلوها .. لماذا فعلوا ؟

تنحنح (كمال) فى توتر ، قبل أن يقول :

ـ السرقة لم تكن السبب فى مصرعها يا سيّد (سليم) ، فكل شىء بالمنزل كما هو لم يمس ، ثم إنها أصيبت برصاصة أطلقت من بعيد ، من عيار تسعة مليمترات ، ممّا يرجّح أنها ببندقية قنّاصة .

حدّق (سليم) فى وجهه بدهشة ، وقال :

ـ بندقية قنّاصة ؟!.. ولماذا يستخدم أحدهم بندقية قنّاصة لقتل زوجتى .

تنحنح (كمال) مرة أخرى فى قلق ..

لم يكن باستطاعته قط مواجهة الرجل بالأمر ..

وبالحقيقة المفزعة ..

ولكنه مضطر ..

وازدرد (كمال) لعابه فى توتر ، وتنحنح للمرة الثالثة ، ليتغلَّب على توتره ، ثم قال :

- أستاذ (سليم) .. ربما لا تبدو الحقيقة مستساغة أو ممكنة ، ولكنها ستبقى حقيقة .

قال (سليم) فى عصبية :

- ما الذى تريد قوله أيها الضابط ؟

التقط (كمال) نفسًا عميقًا ، ثم ألقى ما لديه ..

كل ما لديه ..

وكانت المفاجأة مذهلة ..

وفى هذه المرة ، انهار (سليم حسَّان) ..

انهار بحق ، حتى أن الأمر احتاج لنقله إلى حجرة العناية المركَّزة ، بأسرع ما يمكن ..

وطوال طريق العودة إلى منزله ، ظلَّ (كمال) صامتًا ، حتى صعد إلى شقته ، وأغلق بابها خلفه ، وتمتم :

- كم تؤلم الحقيقة ، فى كثير من الأحيان .

قفز من مكانه ، مع صوت يقول :

- المهم أنها حقيقة .

أضاء ردهة منزله بحركة سريعة ، وهو ينتزع مسدسه ، ثم هتف :

- أنت ؟!.. كيف دخلت إلى هنا ؟

هزَّ (أدهم) كتفيه ، وقال فى هدوء :

إنها ليست بالمهمة العسيرة .

ثم اعتدل فى مجلسه ، وقال :

- لقد لقيت (نوال رمزى) مصرعها الليلة .. قتلها قنَّاص محترف .

غمغم (كمال) ، وهو يلقى قبعته الرسمية فوق مقعد قريب :

- أعلم هذا .. أنا آت على التوّ من منزل (سليم حسَّان) .. لقد أصيب المسكين بانهيار عصبى حاد ، عند معرفته الحقيقة .

قال (أدهم) وكأنه يكمل حديثه السابق :

- والقنَّاص أيضًا لقى مصرعه .

هتف (كمال) فى دهشة :

- متى ؟.. وكيف ؟.. وأين ؟

أجابه (أدهم) فى حزم :

- سيعثرون على جثته صباح الغد ، فى البناية الجديدة ، المقابلة لمنزل (سليم حسَّان) .

قال (كمال) فى حدة :

- إذن فأنت قتلته .

أجابه (أدهم) فى هدوء :

- لقد انزلقت قدمه ، وسقط من الطابق العاشر ، ولكن دعك من هذا الآن ، فما أخبرتنى به (نوال) قبيل مصرعها ، أمر بالغ الخطورة .

سأله (كمال) فى لهفة :

- هل أخبرتك باسم (البارون) ؟

أجابه (أدهم) :

- نعم .. لقد فعلت .

هتف (كمال) :

- من هو إذن ؟.. أخبرنى بالله عليك .

تطلّع إليه (أدهم) لحظة فى صمت ، ثم قال :

- استعد للمفاجأة إذن .

قال (كمال) فى لهفة :

- لن يدهشنى شىء .

وعلى الرغم من قوله ، فقد زلزلته المفاجأة من الأعماق ، عندما أخبره (أدهم) ، فاتسعت عيناه عن آخرهما ، وعجزت ساقاه عن حمله ، فتهاوى فوق أقرب مقعد إليه ، وتمتم :

مستحيل !

مطّ (أدهم) شفتيه ، وقال :

- كنت أتوقّع هذا إلى حد ما .

قلب (كمال) كفيه ، وهو يقول فى اضطراب شديد :

- ولكن ماذا نفعل فى هذه الحالة ؟!.. إننا لا نملك دليلًا ماديًا واحدًا يدين موظف السفارة الإسرائيلية ، وشهادتك لن تكفى فى هذه الحالة ، أيًا كان موقعك ، فلقد دخل الأمر دهاليز السياسة ، وازداد تعقيدًا وصعوبة .

وضرب كفًا بكف ، وهو يستطرد :

- يا له من موقف !.. لقد ظللت طوال عام كامل أتصوّر أن القضية

ستنتهى ، فور كشف شخصية (البارون) ، ولكن هأنذا ، أعرف من هو (البارون) ، وأجلس أكثر حيرة وقلقًا مما كنت عليه ، قبل معرفة شخصيته .

قال (أدهم) فى هدوء :

- هذا لأنك تفكّر بعقلية رجل قانون ، يحتاج إلى أدلة وبراهين .

واسترخى فى مقعده ، مستطردًا :

- أما بالنسبة لى ، فالأمر يختلف .

التقى حاجبا (كمال) فى شدة ، وهو يقول :

- بالتأكيد .

ثم اعتدل فجأة ، مستطردًا :

- هل تعلم ؟.. لقد بدأت أؤمن بشفافية ما قبل الموت .

نظر إليه (أدهم) بتساؤل ، فتابع :

- لقد كان (محمود) - رحمه الله - محقًا ، عندما اختارك بالذات لهذه المهمة ، فأنت خبير بالتعامل مع هؤلاء الإسرائيليين ، ثم إن طبيعتك ترفض التقيّد بالأوامر والقوانين ، وهذا ما تحتاجه هذه العملية بالذات .

بدا شبح ابتسامة على شفتى (أدهم) ، وهو يقول فى اقتضاب :

- تقريبًا .

سأله (كمال) فى لهفة :

- ولكن ما الذى يمكن أن تفعله ، فى مثل هذه الحالة ؟.. هل تهاجم موظف السفارة الإسرائيلية مثلًا .

قال (أدهم) فى بساطة :

ـ إذا ما اقتضى الأمر .

سأله (كمال) :

ـ وهل لديك خطة محدودة ؟

صمت (أدهم) لحظات ، ثم قال :

ـ إلى حد ما .. إنها خطة مألوفة بالنسبة لى ، ولكنها قد تبدو غريبة ، بالنسبة لأساليبكم المتبعة ، فى عالم الشرطة .

سأله (كمال) ، عندما لمح تلك الابتسامة الساخرة على شفتيه ، فى الشق الثانى من عبارته :

ـ وما خطواتها ؟

أشار (أدهم) بسبَّابته ، وهو يقول :

ـ إنها تقتصر على خطوة واحدة .. إرباك العدو .

واتسعت ابتسامته الساخرة .





٩ ـ خطــوة بخطــوة ..

ألقى الملحق العسكرى للسفارة الإسرائيلية نظرة سريعة على ساعته ، ثم رفع عينيه إلى (ديفا مازيل) ، الذى انهمك فى إعداد حقيبته ، وقال :

ـ إنها السابعة والنصف الآن .. المفروض أن تنطلق بك السيارة إلى مصيف (فايد) بعد نصف ساعة .

قال (ديفا) فى توتر شديد :

ـ ولماذا لم نرحل فى الخامسة ؟.. لم يكن هذا ليصنع فارقًا كبيرًا ، فلم يغمض لى جفن طيلة الليل .

ابتسم الملحق العسكرى فى سخرية ، وهو يقول :

ـ أيخيفك (أدهم صبرى) إلى هذا الحد ؟

تطلَّع إليه (ديفا) فى عصبيَّة ، قبل أن يقول :

ـ ألا يخيفك أنت ؟

انعقد حاجبا الملحق العسكرى فى غضب ، وهو يقول :

ـ يخيفنى أنا ؟!

أجابه (ديفا) ، فى شىء من الحدة :

ـ إنه يخيفنا جميعًا .. من مدير (الموساد) ، وحتى حارس بوَّابه المبنى .. هل تنكر أنه أخطر رجل مخابرات تعاملنا معه ، منذ نشأة جهازنا ؟

قال الملحق فى حدة :

ـ ربما يعنى هذا أن نهتم بأمره ، لا أن نخشاه .

قال (ديفا) فى عصبية :

ـ حقًا ؟!.. ما الذى يعنيه إصراركم على ابتعادى إذن ؟

قال الملحق فى غضب :

ـ ان أمرك يكاد ينكشف .

هتف (ديفا) :

ـ أم أن (أدهم صبرى) ظهر فى الصورة ؟

التقى حاجبا الملحق العسكرى فى شدة ، وهو يقول :

ـ حديثك هذا يسىء إليك بشدة يا (ديفا مازيل) ، لو أننى ذكرته فى تقرير رسمى ، ولكننى أراعى حالتك النفسية ، وتوترك العصبى ، لذا فسأحتفظ بالأمر سرًا ، و ...

قاطعه رنين الهاتف المفاجئ ، فالتقط سمّاعة الهاتف بحركة آلية ، وقال :

ـ آلو .. لا .. لست (ديفا) .. أنا الملحق العسكرى .. ماذا هناك ؟

رأى (ديفا) حاجبيه ينعقدان فجأة فى عنف ، وهو يهتف :

ـ ماذا ؟!

وهوى قلب (ديفا) بين قدميه ، وهو يسأل بصوت مرتجف :

ـ ماذا حدث ؟.. ماذا هناك ؟

وضع الملحق العسكرى يده على بوق السمّاعة ، وهو يقول :

ـ هل تتصوّر من هنا ؟

أجابه مرتجفًا :

ـ الشرطة المصرية .

هزّ الملحق رأسه فى قوة ، وقال :

ـ بل هو ..

جحظت عينا (ديفا) ، وهو يسأل :

ـ هو من ؟!

هتف الملحق :

ـ (أدهم) .. (أدهم صبرى) .

كاد (ديفا) يطلق صرخة رعب ، وهو يقول :

ـ (أدهم صبرى) ؟!.. هنا ؟!.. فى السفارة ؟!

أومأ الملحق برأسه فى انفعال ، وهو يجيب :

ـ نعم .. (أدهم صبرى) هنا .. جاء بقدميه إلى أرضنا ، ويطلب مقابلتك شخصيًا .. هل رأيت جرأة كهذه ؟

ارتجف (ديفا) ، من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ، وهو يقول :

ـ وماذا أفعل الآن ؟

صاح به الملحق :

ـ لا ترتعد هكذا .. أنت داخل السفارة ، ثم إنك تحمل جواز سفر ديبلوماسيًا ، ولا أحد يمكنه أن يمس شعرة واحدة من رأسك .

صاح (ديفا) :

ـ لا أحد ؟!.. هذا القول لا ينطبق على (أدهم صبرى) ، وأنت خير من يعلم هذا .. إنه يستطيع ـ لو أراد ـ انتزاعى من قلب الجحيم نفسه .

صرخ الملحق فى وجهه :

ـ لا تبالغ على هذا النحو .

ثم رفع يده عن البوق ، قائلًا فى صرامة :

ـ أبلغ (أدهم صبرى) أن أدون (ديفا مازيل) غير موجود فى الوقت الحالى ، وأننى سأستقبله بنفسى بعد خمس دقائق ، فى مكتبى .

وأعاد السمَّاعة إلى موضعها ، و (ديفا) يقول متوترًا :

ـ ماذا سنفعل ؟

أجابه فى حدة :

ـ قلت لك : إننا نلعب فى ملعبنا ، ولن نخشى (أدهم صبرى) أو غيره هنا .. اسمع .. سأعطله فى مكتبى بعض الوقت ، وعليك أن تنصرف فورًا .. هل تفهم ؟

ردَّد (ديفا) فى هلع :

ـ بالطبع .. بالطبع .

قلب الملحق شفتيه فى امتعاض ، وهو يقول :

ـ يا له من مشهد سخيف !.. من يراك وأنت ترتجف هكذا ، لا يمكنه أن يتصوَّر أبدًا أنك الرجل الذى دوَّخ شرطة (مصر) كلها ، والذى يطلق على نفسه اسم (البارون) .

قال (ديفا) فى حدة :

ـ العمل فى الظل يختلف كثيرًا عن العمل فى وضح النهار .. ثم إننا كنا نلعب جميعًا دور (البارون) .. كان تخطيطًا مشتركًا .

قال الملحق فى حدة :

ـ حسن .. هيا .. انصرف .

حمل (ديفا) حقيبته ، وهرع إلى الخارج ، فعقد الملحق العسكرى حاجبيه فى غضب ، وهو يردِّد :

ـ غبى .

ثم التقط سمَّاعة الهاتف ، وقال :

ـ أنا الملحق العسكرى ، أعطنى قائد فريق الأمن ، المسئول عن رحلة أدون (ديفا مازيل) .. أريد إبلاغه تعليمات الأمن .

ثم أغلق البوق مرة ثانية ، وكرَّر :

ـ غبى .

وأدلى بتعليمات الأمن لقائد الفريق ..

★ ★ ★

ارتسمت ابتسامة ساخرة ، على شفتى (أدهم صبرى) ، وهو يدلف إلى حجرة مكتب الملحق العسكرى الإسرائيلى ، الذى نهض لمصافحته ، وهو يقول فى رصانة شديدة ، محاولًا رسم ابتسامة ودودًا على شفتيه :

ـ أهلًا يا سيِّد (أدهم صبرى) .. مرحبًا بك فى سفارتنا ، لست أظنك هنا للحصول على تأشيرة دخول (إسرائيل) .

اتسعت ابتسامة (أدهم) الساخرة ، وهو يتجاهل اليد الممدودة إليه ، قائلًا :

ـ لا أيها الملحق العسكرى .. لم أعتد الحصول على أية تأشيرات

منكم ، عندما أزور (فلسطين) المحتلة .. لدى وسائل أخرى لزيارتها .

عقد الملحق حاجبيه ، وقال :

ـ يبدو أن ذاكرتك ضعيفة يا سيِّد (أدهم) ، فلم يعد هناك من يطلق على تلك البلاد اسم (فلسطين) .

لوَّح (أدهم) بكفه ، قائلًا :

ـ يمكنك اعتبارها نزوة ، لإعطاء كل ذى حق حقه .

عض الملحق العسكري شفته السفلى ، فى محاولة للسيطرة على أعصابه ، وقال فى صوت خافت ، حاول بقدر طاقته أن يصبغه بالهدوء والروية :

ـ ما الخدمة التى يمكننى تقديمها إليك يا سيِّد (أدهم) ؟

أجابه (أدهم) على الفور :

ـ رأس (ديفا مازيل) .

هتف الملحق فى دهشة :

ـ ماذا ؟!

لم يكن يتوقَّع قط مثل هذا الجواب ، وخاصة بذلك الأسلوب ، لذا فقد حدَّق فى وجه (أدهم) لحظات بدهشة بالغة ، قبل أن يقول (أدهم) ، بأسلوبه اللاذع :

ـ معذرة .. نسيت أنكم تصرّون على استخدام الألقاب .. أريد رأس الوغد (ديفا مازيل) .

انعقد حاجبا الملحق ، وهو يهبّ واقفا ، ويقول فى حدة :

ـ هل ترغب فى إثارة أزمة دبلوماسية ؟!

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

ـ كنت أتمنى هذا ، من أعماق قلبى ، ولكننى أعلم أنكم تتميزون بثقل ظل لا حدود له ، حتى أنه من العسير إثارة مثل هذه الأزمة معكم ، دون ذبح رئيس وزرائكم شخصيًا ، على قارعة الطريق .

هتف الملحق :

ـ أستاذ (أدهم) .. لقد تجاوزت الحد .

أجابه (أدهم) بسرعة وسخرية :

ـ لا تجعل هذا يقلقك ، فلقد حصلتم على مكاسب كبرى ، بعد اتفاقية السلام ، التى وقَّعناها معكم ، ولن يمكنكم التنازل عنها بسهولة ، لذا فستتجاوزون كل ما أقول ، ولا داعى للتظاهر بالعكس .

كظم الملحق العسكرى غضبه فى صعوبة شديدة ، وقال :

ـ إذن فأنت تريد (ديفا مازيل) .

أجابه (أدهم) :

ـ بل أريد رأسه ، بعد إذن سفيركم .

تجاهل الملحق العسكرى هذه العبارة ، التى تفوح بالسخرية ، وقال :

ـ (ديفا مازيل) ليس هنا ، على أية حال .. لقد حصل على إجازة هذا الصباح ، وأظنه سيقضيها على شاطئ (مرسى مطروح) .

قال (أدهم) فى سخرية :

ـ حقًّا ؟!.. يا للخسارة !.. كنت أتمنى مقابلته ، وجدع أنفه

بنفسى ، ولكن ما دامت الظروف تمنع هذا ، فأرجو أن تبلغه رسالة شفهية قصيرة ، أعبِّر بها عن شعورى نحوه .

شبَّك الملحق أصابع كفيه ، وهو يقول فى عصبية :

ـ هات ما لديك .

قال (أدهم) على الفور :

ـ قل له : اذهب إلى الجحيم .

تراجع الرجل فى دهشة ، فتابع (أدهم) بسرعة :

ـ أو أرسلك بنفسى إليه .

ثم استدار مغادرًا حجرة المكتب ، وهو يلوِّح بكفه ، مستطردًا :

ـ ولا تنسَ أن تلكمه فى أنفه ، مع خالص تحياتى .

تقافزت شياطين الغضب فى وجه الملحق العسكرى لحظة ، بعد أن غادر (أدهم) الحجرة ، وصفق بابها خلفه ، ثم التقط سماعة الهاتف الداخلى ، وقال فى حدة :

ـ أرسل أحد رجالنا خلف هذا المصرى .. أريد معرفة ما سيفعله ، منذ مغادرة مبنى السفارة ، وحتى صباح الغد .. هل تفهم ؟

أنهى الاتصال بنفس العنف ، وكاد حاجباه ينعقدان مع بعضهما من شدة التقائهما ، وهو يستطرد لنفسه :

ـ حسن يا (أدهم صبرى) .. سأجعلك هذه المرة تذوق أوَّل هزيمة ، فى ملفك الحافل لدينا .. وأمرَّ هزيمة فى حياتك .

★ ★ ★

غادر (أدهم) مبنى السفارة فى هدوء ، وتوقف قليلًا أمام مجرى النيل العظيم ، ثم دس كفيه فى جيبى سرواله ، وراح يسير الهوينا بمحاذاة كورنيش النيل ، وهو يطلق من بين شفتيه صفيرًا منغومًا ، ينقل واحدًا من الألحان الوطنية القديمة ، وكأنما لا يشغله شىء فى الدنيا كلها ..

وفى حذر ومهارة ، تبعه رجل الأمن الإسرائيلى ..

ولكن (أدهم) انحرف فجأة فى شارع ضيق ، عمودى على الكورنيش ، فضاعف رجل الأمن الإسرائيلى من سرعته ، وتبعه إلى ذلك الشارع الضيق ، ورآه يدلف إلى مدخل بناية ضخمة ، فأسرع خلفه ، ووقف فى المدخل الواسع يدير عينيه فيما حوله ، بحثًا عن (أدهم) ، حتى سمع من خلفه صوته الساخر ، يقول :

ـ أنا هنا .

استدار إليه الرجل بسرعة ، فاستقبلته لكمة كالقنبلة فى أنفه ، وثانية ساحقة فى معدته ، ثم ثالثة كالصاعقة ، على مؤخرة عنقه ..

وسقط الرجل فاقد الوعى ، فالتقطه (أدهم) بين ذراعيه ، وأجلسه مسندًا ظهره إلى الجدار الداخلى للمدخل ، وهو يقول متهكمًا :

ـ هيا .. يمكنك أن تتسوَّل قليلًا .. هذا أكثر ربحًا .

وعاد أدراجه فى سرعة إلى الكورنيش ، حيث ينتظره (كمال) ، الذى قال :

ـ (ديفا مازيل) غادر السفارة منذ ربع الساعة ، فى سيارة (مرسيدس) سوداء ، تحمل أرقام هيئة سياسية ، ومعه أربعة من

حرّاس السفارة ، يحمل أحدهم مدفعًا آليًا ، وأعتقد أن الثلاثة الآخرين يحملون مسدسات سريعة الطلقات .

سأله (أدهم) :

ـ وأين ذهب ؟

أجابه (كمال) :

ـ سيبلغنى رجال شرطة المرور بعد قليل .

استند (أدهم) إلى سور الكورنيش فى هدوء ، فسأله (كمال) :

ـ هل تأكدت من أنه (البارون) ؟

أجابه (أدهم) :

ـ بل تأكدت من أن كل رجال (الموساد) فى السفارة ، كانوا يلعبون دور (البارون) .

سأله (كمال) فى دهشة :

ـ ماذا تعنى ؟

أجابه (أدهم) فى بساطة :

ـ أعنى أن (ديفا مازيل) كان مجرّد ضابط الاتصال الرئيسى ، فى عملية (البارون) ، ولكن الخطة نفسها كان لها فريق عمل ، يدرس كل خطوة ، قبل الإقدام عليها .

هتف (كمال) :

ـ هى شبكة جاسوسية إذن ؟!

هزّ (أدهم) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ بل شبكة مخدرات .. إنها لا تقل أهمية فى نظرهم ، عن شبكات التجسّس .

همّ (كمال) بإلقاء سؤال آخر ، ولكن جهاز اللاسلكى الذى يحمله ، أطلق أزيزًا متصلًا ، فرفعه إلى شفتيه ، قائلًا :

ـ هنا (٦٠٧) .. ماذا لديك ؟

سمع (أدهم) صوتًا يأتى عبر الجهاز ، قائلًا :

ـ السيارة المطلوبة تتخذ الآن طريق (الإسماعيلية) .

اعتدل (أدهم) ، وقال :

ـ عظيم .. الآن عرفت وجهتهم .

سأله (كمال) :

ـ ألديك سيارة ؟

أجابه (أدهم) :

ـ نعم .. استعرت سيارة شقيقى الدكتور (أحمد) .. إلى اللقاء قريبًا .

تابعه (كمال) ببصره ، وهو يتجه فى خطوات سريعة نحو سيارة (بى.إم.دابليو) ، من الطراز الرياضى ، وغمغم :

ـ نعم .. قل إلى اللقاء أيها البطل ، فكل ما أخشاه أن اضطر يومًا لنطق كلمة أخرى .

والتقى حاجباه فى أسى ، مع استطرادته :

ـ كلمة (وداعًا) ..

★ ★ ★

فرك (ديفا مازيل) كفيه فى توتر ، وهو يجلس داخل (المرسيدس) السوداء ، التى تنطلق به فى طريق (الإسماعيلية) الصحراوى ، وبدا

شديد القلق ، حتى أنه يتلفَّت حوله ، ما بين لحظة وأخرى ، فابتسم أحد الرجال الأربعة ، المصاحبين له ، وهو يقول فى لهجة حاول أن يسبغ عليها الاحترام ، إلا أنها حملت ـ على الرغم منه ـ رنة تهكم وسخرية واضحة :

ـ دع عنك القلق يا أدون (ديفا) .. من الواضح أن أحدًا لا يعلم وجهتنا الحقيقية ، ولم تتبعنا أية سيارة ، منذ غادرنا (القاهرة) .

غمغم (ديفا) فى عصبية :

ـ إنكم لا تعرفون (أدهم صبرى) .

ارتسمت ابتسامة ساخرة ، على شفاه الرجال الأربعة ، وقال آخر :

ـ نحن لا نعرف هذا الرجل بالفعل يا أدون (مازيل) ، ولكننا قرأنا شيئًا عنه ، إلا أنه لا يخيفنا ، فلقد تلقينا تدريبات ممتازة ، تتيح لنا التصدى لأقوى رجل فى العالم .

أشعل (ديفا) سيجارته فى توتر ، وهو يقول :

ـ هل تعتقدون هذا ؟

أجابه الذى يقود السيارة :

ـ بل نثق به جيدًا .

قال فى خفوت :

ـ ربما .

ثم عاد يتطلع فى قلق ، فهز الرجال رءوسهم فى استنكار ، وقال السائق :

ـ لقد وصلنا إلى طريق (فايد) .. سننحرف يمينًا ، وننطلق نحو المصيف .

قالها وانحرف فى الطريق الفردى الضيق ، الذى يربط ما بين طريق (الإسماعيلية) الصحراوى ، ومصيف (فايد) ، وانطلق عبر الطريق الذى تحيط به الصحراء من الجانبين ، وحتى مدى البصر ، وأحد الرجال يغمغم :

ـ كم يدهشنى أن ينتهى طريق مقفر كهذا ، بمصيف جميل مثل مصيف (فايد) .

سأله (ديفا) :

ـ هل تعرفه جيدًا ؟

أجابه الرجل :

نعم .. لقد رافقت الملحق العسكرى إلى هناك ، منذ أقل من شهر واحد ، و ...

قاطعه صوت زميله ، وهو يقول فى حزم :

ـ هناك سيارة تقترب منا .

انتفض جسد (ديفا) فى عنف ، وهو يهتف :

ـ سيارة ؟!

ثم استدار بسرعة ، وتطلع إلى السيارة الرياضية الحمراء الصغيرة ، التى تنهب الطريق نهبًا ، بسرعة تتجاوز حتمًا كل السرعات المسموح بها ، حتى أنها تثير خلفها سحابة ضخمة من الرمال ..

وراح قلبه يخفق فى عنف ..

إنه (أدهم صبرى) ..

صحيح أنه لا يستطيع رؤية وجه السائق ، من المسافة التى تفصل السيارتين ، عن بعضهما ، ولكنه واثق من أنه (أدهم) ..

جاء لينتقم ..

ليثأر لابن عمه ..

وبكل الخوف الكامن فى أعماقه ، هتف (ديفا) :

ـ أسرع يا رجل .. أسرع .

زاد السائق من سرعة السيارة بالفعل ، وهو يسأله :

ـ أهو (أدهم) هذا ؟

صاح (ديفا) :

ـ من المؤكَّد أنه هو .. من غيره يتبعنا بهذا الإصرار ؟

قال أحد الرجال :

ـ ربَّما هو مجرَّد شاب عابث ، يهوى القيادة المسرعة ، أو ...

وقبل أن يتمَّ عبارته ، كانت المسافة بين السيارتين قد انكمشت ، إلى الحد الذى يسمح لـ (ديفا) بالرؤية ..

وانتفض جسده مرة أخرى ..

ولكن أكثر عنفًا ..

وفى ذعر هائل ، هتف :

ـ إنه هو .

سرى التوتر فى عروق رجال الأمن الأربعة ، وقال أحدهم :

ـ هل نسرع ؟

أجابه السائق فى غضب :

ـ لماذا ؟.. لنفرَّ من رجل واحد ؟.. الأفضل أن نتوقف ونواجهه .

صرخ به (ديفا) :

ـ لا تتوقف .. هذا أمر .. سأقتلك لو فعلت .

أجابه رجل أمن ثالث فى خشونة :

ـ اهدأ يا أدون (ديفا) .. إننا سنفعل الأفضل .

ثم انتزع مسدسه ، وأضاف :

ـ حاول أن تحافظ على المسافة ، بيننا وبينه يا رجل .

ضغط السائق دوَّاسة الوقود ، وزاد من سرعة سيارته قليلًا ، بحيث يحافظ على المسافة ، فى حين أخرج الرجلان الآخران مسدسيهما أيضًا ، وأطلَّت فوهات المسدسات الثلاثة من نوافذ السيارة ..

وانطلقت الرصاصات ..

وأصابت الرصاصات كلها زجاج سيارة (أدهم) الذى هتف :

ـ مرحى .. من الواضح أننى أواجه محترفين .

ثم انتزع من جيبه مسدسًا ، من طراز (ماجنوم ـ ٤٤) ، وهو يقول :

ـ ولكننى لا أقلّ عنهم احترافًا .

أمسك عجلة القيادة بيمناه ، وصوَّب المسدس بيسراه ..

وأطلق النار ..

وصرخ أحد رجال الأمن الثلاثة ، عندما أصابت رصاصته (أدهم) مسدسه ، بدقة مدهشة ، وأطاحت به بعيدًا :

ـ اللعنة !.. لقد فقدت مسدسى .

دفع إليه زميله بالمدفع الآلى ، وهو يصيح :

ـ خذ هذا ، ولكن لا تتوقف عن إطلاق النار .

التقط الرجل المدفع الآلى ، وحطّم الزجاج الخلفى للسيارة بكعبه ، وهو يصيح فى (ديفا) :

ـ اهبط إلى قاع السيارة ياأدون (ديفا) ، واترك لنا هذا الرجل .

ثم أسند ماسورة مدفعه إلى مؤخرة السيارة ، وضغط الزناد .. وانهالت الرصاصات كالمطر ، على سيارة (أدهم) ، واخترقت جسمها ومبرّد المياه فيها ..

ثم اخترقت إطارها الأيسر الأمامى ..

وانفجر الإطار فى عنف ..

ومع الانفجار ، اختلّ توازن السيارة ، ومالت خارج الطريق فى عنف ، فصرخ حامل المدفع الآلى فى ظفر :

ـ لقد أصبناه ..

فوجئ برصاصة من مسدس (أدهم) تخترق صدره ، وتدفعه إلى الخلف بعنف ، فسقط مدفعه الآلى خارجًا ، وارتطم بالسائق فى الوقت ذاته ، فاختل توازنه بدوره ، وانحرفت به السيارة إلى الرمال ، وهو يضغط فراملها بكل قوته ، صائحًا :

ـ اللعنة ..

أما سيارة (أدهم) فقد بذل هذا الأخير جهدًا خرافيًا للسيطرة عليها ، بعد انفجار الإطار ، ولكن اندفاعها نحو الرمال جعلها تميل فى عنف ، ثم تنقلب على جانبها ، وتتدحرج عدة مرات ، قبل أن تستقر على جانبها الأيسر ..

وأوقف رجال الأمن سيارتهم بدورهم ، وهتف أحدهم فى غضب :

ـ لقد أصاب (بن زينون) .

نهض (ديفا) ، قائلًا :

ـ فليكن .. سنسعفه عندما نصل إلى (فايد) .. أسرعوا بنا .

صاح قائد السيارة فى حنق :

ـ ولماذا ؟!.. لقد انقلبت سيارة ذلك المصرى .. دعونا نعد إليه ، ونطلق النار على رأسه ، ثم نشعل خزان الوقود فى سيارته ، ونقضى عليه تمامًا .

ارتعدت فرائص (ديفا) ، وهو يقول :

ـ لا .. لن نخاطر بالعودة .

هتف أحد الرجال :

ـ نخاطر ؟!.. أى قول هذا يا أدون (ديفا) ؟.. السيارة مقلوبة ، وليس من الطبيعى أن يبقى ذلك الرجل على قيد الحياة .

صاح (ديفا) :

ـ لماذا نعود إذن ؟

أجابه رجل آخر :

ـ لنتيقّن من هذا .

وأضاف الثالث :

ـ ولنضع الأمر فى شكل حادث سيارة عادى .

قال (ديفا) فى عصبية :

ـ لا .. لن نعود قط .. سننطلق على الفور إلى (فايد) .. لإسعاف (بن زينون) على الأقل .

أجابه أحدهم فى صرامة :

ـ (بن زينون) لقى مصرعه .

صاح (ديفا) :

ـ قلت لك انطلق إلى (فايد) .. هذا أمر ..

تبادل الرجال الثلاثة نظرة صارمة ، ثم أدار السائق عجلة القيادة ، وهو يقول فى حزم :

ـ لا يا أدون (ديفا) .. أنت تعرف الأوامر ، فى هذا الشأن .. إنها حالة طوارئ ، وفى حالات الطوارئ ، تعود سلطة إصدار الأوامر إلى طاقم الأمن .. أي إلينا .

قالها وانطلق عائدًا إلى حيث سيارة (أدهم) المقلوبة ، فانكمش (ديفا) فى مقعده ، وغمغم :

ـ فليكن .. ولكنكم ستندمون أشد الندم .. أقسم على هذا ..

تجاهلوه تمامًا هذه المرة ، واقتربوا بسيارتهم من سيارة (أدهم) المقلوبة ، ورأوا جسده ملقى فوق الرمال إلى جوارها ، فأوقفوا السيارة ، على بعد ثلاثة أمتار منها ، وقال أحدهم :

ـ دعونا نتأكد من مصرعه يا رجال .

غادر ثلاثتهم السيارة ، وتركوا (ديفا) داخلها يرتجف ، وقال قائدهم :

ـ هيًا .. سنمطر جسده بالرصاصات .

صوًب الثلاثة مسدساتهم إلى جسد (أدهم) ، و ...

ودوًت الرصاصات فى الصحراء .

★ ★ ★



واقتربوا بسيارتهم من سيارة (أدهم) المقلوبة ، ورأوا جسده ملقى فوق الرمال إلى جوارها ..

١٠ ـ دمـاء ورمـال ..

بدأ القلق واضحًا على وجه (كمال) ، وهو يجلس فى مكتبه ، فى مديرية أمن (القاهرة) ، فسأله زميل مكتبه فى اهتمام :

ـ ماذا بك ؟!.. تبدو وكأنهم أسندوا إليك مهمة البحث عن قاتل (توت ـ عنخ ـ آمون) ؟

تنهَّد (كمال) ، وقال :

ـ ليتهم فعلوا .. إننى قلق بشأن رجل ، لا ينبغى أن يقلق المرء بشأنه .

تراجع زميله ، هاتفًا فى دهشة :

ـ ألغز هذا ؟

قال (كمال) فى توتر :

ـ اعتبره كذلك .

ثم نهض إلى النافذة ، وأضاف :

ـ لقد حلَّ هذا الرجل ، فى ثلاثة أيام ، لغزا عجزنا عن حله طوال عامين كاملين .

سأله زميله :

ـ أى لغز هذا ؟

أجابه (كمال) :

ـ لغز (البارون) .

قفز زميله من خلف مكتبه ، صائحا :

ـ لغز ماذا ؟!.. أجاد أنت يا رجل ؟

أومأ (كمال) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ تمام الجدية .. وهو الآن يطارده بنفسه ، على الرغم من أنه ليس أحد رجال الشرطة .

صاح زميله فى توتر :

ـ أى قول هذا ؟ .. كيف وافقته على موقف كذلك ؟!.. إنك بهذا تخالف القوانين يا (كمال) .

أجابه (كمال) فى حسم :

ـ بالضبط .. وهذه هى الوسيلة الوحيدة لتنفيذ العدالة ، فى مثل هذه القضية .

وتطلَّع عبر النافذة طويلا ، قبل أن يضيف فى شرود :

ـ أن تخالف القانون .

حدَّق زميله فى وجهه بدهشة بالغة ، وقال :

ـ (كمال) .. يخيل إلىَّ أننى لم أعد أفهمك .

تنهَّد (كمال) مرة أخرى ، وقال :

ـ لا عليك يا صديقى .. أنا أيضا لم أعد أفهم نفسى .. الأمر يفوق إدراكنا جميعًا .

ثم التفت إليه ، مستطردا :

ـ ولكننا ـ ولو سارت الأمور كما ينبغى ـ سنغلق نهائيًا ملف (البارون) .

وزفر للمرة الثالثة ، قبل أن يضيف :

ـ وهذا هو المهم .

★ ★ ★

لم يكد رجال الأمن الثلاثة يصوبون مسدساتهم إلى (أدهم) ، حتى خُيِّل إليهم أن الحياة قد عادت إليه فجأة ، مع فورة نشاط ، جعلته يقفز واقفًا على قدميه ، وهو يقول فى سخرية :

ـ مفاجأة .

ثم أطلق النار ..

وأصابت رصاصاته مسدساتهم ، وأطاحت بها جميعًا ، دون أن تصاب أجسادهم بخدش واحد ، فاتسعت عيونهم فى دهشة ، فى حين ارتجف جسد (ديفا) فى عنف داخل السيارة ، وهو يردِّد :

ـ سيثأر منى .. سيثأر منى .

وتفجَّر الغضب فى أعماق الرجال الثلاثة ، وأحدهم يهتف محنقًا :

ـ لقد جرَّدنا من أسلحتنا .

وصاح الثانى :

ـ آه لو لم يفعل .

هتف الثالث :

ـ كنا سنمزِّقه إربًا .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ـ يا للبسالة ! .. أين تعلمتم هذه الأقوال ؟

صاح به أحدهم فى غضب :

ـ من السهل أن تسخر منا ، عندما تكون الوحيد ، الذى يحمل سلاحًا .

قال (أدهم) .. متهكمًا :

ـ حقًّا ؟!.. وماذا لوَ أننى لا أحمله ؟

قالها وهو يعيد المسدس فى بساطة إلى جيبه ، فتبادل الرجال الثلاثة نظرة دهشة كبيرة ، ثم هتف أحدهم :

ـ هلموا يا رجال .

وانقضوا على (أدهم) انقضاضة رجل واحد ..

كانوا يتصوَّرون أنهم قد تلقَّوا أفضل تدريبات قتالية ، فى العالم أجمع .. أو هكذا أوهمهم قادتهم ..

ثم تلاشى هذا التصوُّر فى خمس عشرة ثانية ..

وهذا هو كل الوقت ، الذى استغرقه القتال ..

لقد هاجموا (أدهم) من اليمين واليسار والأمام ، ولكنه وثب وثبة رائعة ، وركل مهاجم اليمين فى أنفه ، ثم لكم مهاجم اليسار فى منتصف أسنانه الأمامية ، وانحنى يتفادى لكمة الأمامى فى مهارة ، وهوى على معدته بلكمة ساحقة ، أعقبها بثانية على فكه ، وثالثة كالقنبلة ، فرمت عظام أنفه ولحمه ..

وهوى المهاجم الأمامى ، فى حين عاود مهاجما اليمين واليسار الهجوم ، فانحنى (أدهم) على نحو مرن ، غاية فى البراعة ، وترك لكمة أحدهما تحطِّم أنف الآخر ، ثم اعتدل فى سرعة ، وهو يضيف إلى فكه لكمة ثانية ، قائلًا فى سخرية :

ـ أخطأت يا رجل ..

وسقط مهاجم اليسار ..

وتبقَّى مهاجم اليمين وحده ، فانقضَّ على (أدهم) ، وكال له لكمة بيمناه ، وأخرى بيسراه ، ولكن (أدهم) تفادى اللكمتين بانحناءتين

بارعتين ، ثم اعتدل فى حركة حادة ، ولكم الرجل بكل قوته أسفل ذقنه ..

وفى اللحظة التى سقط فيها المهاجم الثالث ، كان (ديفا) يدير محرِّك السيارة ، ليفر بها من وجه (أدهم صبرى) ..

وانطلقت السيارة بالفعل ..

وانطلق خلفها (أدهم) ..

وكانت المسافة التى تفصلهما تقل قليلًا عن الأمتار الثلاثة ، عندما وثب (أدهم) بكل قوته ومرونته نحو السيارة ، وتعلَّق بها ، فصرخ (ديفا) :

- لا .. لا .. مستحيل !

وحاول أن يبحث فى جيبه عن مسدسه ، ولكنه فوجئ بـ(أدهم) يثب عبر النافذة ، ليستقر على المقعد المجاور له ، وهو يقول :

- نهاية الخط يا رجل .

اختلت عجلة القيادة فى يد (ديفا) ، وهو يرفع ذراعيه ليحمى وجهه ، صائحًا فى رعب وارتياع :

- لا .. لا تقتلنى .

انحرفت السيارة ، ودارت حول نفسها فى عنف ، ثم توقفت ، فى نفس اللحظة التى أمسك فيها (أدهم) بتلابيب (ديفا) ، وهو يقول :

- لقاء سعيد يا عزيزى (البارون) .

هتف (ديفا) :

- لست وحدى (البارون) يا سيِّد (أدهم) .. أنا مجرَّد منفذ .

سأله (أدهم) :

- وماذا عن الأموال ، التى تموِّل صفقات المخدرات ؟.. أهى نقودك ، أم نقود السفارة ؟

أجابه (ديفا) مرتعدًا :

- بل نقود السفارة يا سيِّد (أدهم) .. هناك ميزانية خاصة لذلك .. إنهم يرسلون أكثر من مليونى دولار شهريًّا ؛ لتمويل صفقات المخدرات ، وكل ما علىَّ هو أن أتصل بالوسطاء ، وأدفع النقود ، وأجمع الأرباح .. إنه مجرَّد عمل .

قال (أدهم) فى غضب :

- مجرَّد عمل ؟!.. هذا الذى تطلق عليه اسم (مجرَّد عمل) ، يحطِّم عقول ونفوس وسواعد شباب بلادى أيها الوغد .. لست أدرى لماذا ترفضون دائمًا فكرة العيش فى سلام ؟.. لماذا تصرُّون على سياسة التخريب والتدمير ؟

ارتجف (ديفا) ، وكاد يبكى ، وهو يقول :

- إننى مجرَّد منفذ للسياسة ، ولست أحد واضعيها يا سيِّد (أدهم) .. صدقنى .

جذبه (أدهم) فى عنف ، وهو يقول :

- وماذا عن مقتل (محمود) ؟.. هل كنت أحد منفذيه ؟

هتف فى ارتياع :

- لا .. أقسم لك .. إننى لم أعرف حتى ما فعلوه ، إلا بعد مقتله بالفعل .. لقد تصرَّف (حسين شدَّاد) وحده ، دون استشارة أحد .

سأله (أدهم) :

ـ وماذا عن محاولة قتلى ؟

إنهار (ديفا) ، وهو يقول :

ـ لم يكن أمامى سوى هذا .. صدقنى .. لو أنك فى مكانى ، كنت ستفعل الشىء نفسه .

هتف (أدهم) :

ـ يا لك من وغد !

ثم تطلّع إلى عينيه مباشرة ، وهو يستطرد :

ـ من يصدّق أن (البارون) المخيف مجرّد وغد وجبان مثلك ، يرتجف كعصفور مبتلّ ، عندما يواجه الخطر .

اغرورقت عينا (ديفا) بالدموع ، وهو يقول :

ـ الرحمة يا سيّد (أدهم) .

قال (أدهم) فى حدة :

ـ تريد الرحمة ؟!.. فليكن يا رجل .. لن أقتلك .

هتف غير مصدّق :

ـ أحقًا يا سيّد (أدهم) ؟!

استدرك (أدهم) فى سرعة :

ـ ولكن بشرط واحد .

سأله فى لهفة :

ـ وما هو ؟

أجابه (أدهم) فى صرامة :

ـ أن تصحبنى إلى مديرية الأمن ، وتعيد كل ما قلته لى على مسامعهم .

شحب وجه (ديفا) ، وهو يقول :

ـ مستحيل !.. أنت تطلب منى المستحيل يا سيّد (أدهم) ، لا يمكننى أن ..

قبل أن يتمّ عبارته ، دوت فجأة رصاصة ، تردّد صوتها فى المكان ، وجحظت عينا (ديفا) فى شدة ، قبل أن يهوى جثة هامدة ..

واستدار (أدهم) بسرعة إلى مصدر الطلقة ، ورأى أحد رجال الأمن يترنّح ، وهو يمسك مسدسًا تتصاعد منه الأدخنة ، قائلًا :

ـ معذرة يا أدون (ديفا) .. إنها تعليمات الأمن .

ثم هوى فاقد الوعى مرة أخرى ..

★ ★ ★



١١ - الختـــام ..

« والآن ماذا سنفعل ؟.. »

ألقى السفير الإسرائيلى هذا السؤال، على مسامع الملحق العسكرى للسفارة ، فى توتر شديد ، ولكن الملحق التقط نفسًا عميقًا ، وقال :

- فى أى شىء يا سيادة السفير ؟

لوّح السفير بيده فى توتر ، وقال :

- فى أمر (ديفا مازيل) .. إنهم يؤكدون أن (أدهم صبرى) هذا قد سجّل كل حديثه واعترافاته ، وهذا يضعنا فى موقف بالغ الحساسية .. لا يمكننا أبدا الاعتراف بتورّطنا ، فى مثل هذا الأمر .

قال الملحق :

- لا تعترف إذن يا سيادة السفير .. كل ما لديهم سيفقد قيمته حتمًا ، مع الوسيلة التى تم انتزاعه بها ، ثم إن مصرع (ديفا) ينهى المشكلة كلها ، وهذا ما قدّرته منذ البداية ، فأمرت رجال الأمن بالقضاء عليه ، لو لاحت لهم الهزيمة واضحة ، أمام رجل مثل (أدهم صبرى) .

قال السفير فى حدة :

- لست أدرى أى شيطان هو هذا الرجل .. كيف أمكنه معرفة وجهة (ديفا) ، واللحاق به ؟.. بل كيف أمكنه هزيمة أربعة ، من أكفأ رجال الأمن لدينا ؟.. .. هل رأيت كم هو محظوظ ؟.. لقد ظلّ (ديفا) يعمل

لعامين متواصلين ، دون أدنى خطر ، ولكن ما إن يدس (أدهم صبرى) هذا أنفه فى الأمر ، حتى تنهار الشبكة كلها ، ويلقى كل أفرادها مصرعهم ، وينكشف أمر (ديفا) .. وكل هذا فى غضون أيام ثلاثة !.. أى محظوظ هو ؟!

غمغم الملحق :

- أظن أنه ليس للحظ شأن كبير فيما يفعله يا سيّدى السفير .. وكذلك فيما نفعله نحن .. ولكن الأمر انتهى نهاية متعادلة ، على أية حال .. لقد أحرقنا جثة (ديفا) ، وقلنا إنه لقى مصرعه فى حادث سيارة ، فى أثناء ذهابه لقضاء إجازته فى مصيف (فايد) .. والمصريون بدورهم اكتفوا بهذا ، ولم يحاولوا تصعيد الموقف ، وإشعال أزمة دبلوماسية .. وهكذا انتهى الأمر بخير .

أطلق السفير ضحكة ساخرة مريرة ، وهو يقول :

- بخير ؟!.. أتصدّق هذه العبارة حقًّا ؟!

عقد الملحق العسكرى حاجبية ، وقال :

- المهم أنها انتهت يا سيّدى .

تنهّد السفير ، وقال :

- نعم .. المهم أنها انتهت .

وكان صوته يحمل الكثير من الانفعال .. ومن المرارة ..

★ ★ ★

صمتت (منى) لحظات ، بعد أن توقف (قدرى) ، ثم غمغمت :

ـ لماذا لم يخبرنى (أدهم) بأمر هذه العملية ؟

هزَّ (قدرى) كتفيه ، وقال :

ـ ربما لم يجد أنها تستحق هذا .

هتفت :

ـ لم يجد ماذا ؟!.. إنه انتصار رائع يا رجل ، على مخطط يستهدف تحطيم شعبنا ، على المدى الطويل .

غمز (قدرى) بعينه ، وقال :

ـ ربما قرّر الاحتفاظ بها إذن ، ليهمس بها فى أذنيك ، بعد زواجكما إن شاء الله .

تخضّب وجهها بحمرة الخجل ، وغمغمت :

ـ لست أظنها قصة تصلح لمثل هذه المناسبات .

عاد يهزّ كتفيه المكتظتين ، وهو يقول :

ـ ولِمَ لا ؟.. ربما يرويها لك ، كمحاولة لإبهارك .

هتفت فى دهشة :

ـ إبهارى ؟!.. أنا ؟

ثم ابتسمت فى هيام ، مستطردة :

ـ وهل تظن أن (أدهم) بحاجة إلى إبهارى ؟. إنه يبهرنى بالفعل .

ضحك (قدرى) ، وقال :

ـ لست وحدك .

وافقته بإيماءة من رأسها ، ثم قالت :

ـ الواقع أن هذه المغامرة بدت لى غريبة ، حتى بالنسبة لأسلوب (أدهم) وشخصيته .. إننى لم أعتد مغامراته داخل (مصر) .

ابتسم (قدرى) ، قائلًا :

ـ ولا هو اعتادها .. إنه يفضّل العمل خارج البلاد .

نهضت لتعود إلى مكتبها ، وهى تقول :

ـ المهم أن هذه المغامرة قد انتهت بانتصاره أيضًا .

قال (قدرى) فى هدوء :

ـ إنها لم تنته بعد .

سألته فى دهشة :

ـ وهل تبقّى شىء آخر ؟

أدنى سبابته وإبهامه ، وهو يقول :

ـ شىء هام للغاية .

سألته فى لهفة :

ـ وما هو ؟..

وأجابها ..

★ ★ ★

أوقف ضابط الشرطة (كمال) سيارته ، والتفت إلى (أدهم صبرى) ، قائلًا :

ـ أشكرك يا رجل .. أشكرك كثيرًا .. لقد كان العمل إلى جوارك متعة .

تنهّد (أدهم) ، وقال :

ـ المهم أننا انتصرنا فى النهاية .

أجابه (كمال) :

ـ بل قل : أنت انتصرت يا (أدهم) .. لقد صنعت المستحيل حقًا .

هزّ (أدهم) رأسه ، وقال :

ـ لا يوجد مستحيل يا رجل .

ثم غادر السيارة ، مستطردًا :

ـ إلى اللقاء يا (كمال) .. أتعشم أن نلتقى مرة أخرى .

غمغم (كمال) :

ـ أشعر أن هذا سيحدث حتمًا بإذن الله(★) .

ثم أخرج من جيبه مسدسًا ، ناوله لـ (أدهم) ، مستطردًا :

ـ مسدس يا سيّد (أدهم) .

تناول (أدهم) المسدس فى بساطة ، ودسّه فى جيبه ، قائلًا :

ـ أشكرك يا صديقى .

سأله (كمال) :

ـ هل أنتظرك ؟

لوّح (أدهم) بيده ، قائلًا :

ـ لا .. سأبقى بعض الوقت .

ابتسم (كمال) ، وقال وهو ينطلق بالسيارة :

ـ إلى اللقاء يا صديقى .. إلى اللقاء .

(★) جاء لقاؤهما فى قصة سابقة ، من سلسلة (رجل المستحيل) ، تحت اسم (قراصنة الجو) .

راقبه (أدهم) ، حتى ابتعد بالسيارة ، ثم سار فى هدوء ، حتى بلغ قبر ابن عمه (محمود) ، فوقف أمامه فى خشوع ، وقال :

ـ السلام عليكم ورحمة الله يا صديقى العزيز .. الآن فقط يمكننى الحضور لزيارة قبرك ، فقد ثأرت لك ، ونفذت وصيتك الأخيرة ، وسأروى لك القصة كلها .. قصة السقوط .

ورفع عينيه إلى أعلى ، مضيفا فى حزم :

ـ سقوط (البارون) .

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]